مَجلَّةُ الْجامِعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ – الْعَدَدُ ١٦١

تَأْثِيرُ سَمَاعِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي الْمَدْعُوِّينَ

إِعْدَادُ :

د . مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ التُّرْكِيِّ

الْأُسْتَاذِ الْمُسَاعِدِ بِكُلِّيَّةِ الآدَابِ وَالْعُلُومِ الإِنسانِيَّةِ فِي جَامِعَةِ طَيْبَةَ

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب ولم يجعل له عوجًا، وجعله سراجًا منيرًا للسالكين سبيله، ويسر لنقله إلينا من اختاره ووفقه من أئمة الهدى، فوصل إلينا غضًّا كما أنزل، لم تصل إليه يد التبديل والتحريف، ولم تطمح إلى النيل منه أطماع الجاحدين والمعاندين، فكان ذلك مصداقًا لقوله جلَّ ذِكره في كتابه الحكيم ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر ((٩))

وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، بعثه الله في الأمة الأمية، فعلمها ونصحها، فقامت بحفظ كتاب ربِّها، ونقلته إلينا كما أنزل، على أدق أوجه التحري والإتقان .

أما بعد :

فالقرآن الكريم كلام الله سبحانه وتعالى الذي تكلم به وأوحاه إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة الملك جبريل عليه السلام ، فهو الهدى والنور وهو الشفاء، وهو الذكر الذي به تطمئن القلوب، من حكم به عدل، ومن استهدى به هدي، ومن استشفى به شفي بإذن الله، عزَّ به أول هذه الأمة، ولا يعز آخرها إلا به .

فالقرآن من عند الله عز وجل، لا دخل لأيِّ بشرية فيه ، لا من محمد صلى الله عليه وسلم ولا من غيره، فلقد فات بيان القرآن طاقة بلغاء الجاهلية، وكانت له خصائص ظاهرة تجعل كل مقتدر بليغ مبين، وكل متذوق للبلاغة والبيان لا يملك إلا الإقرار له بأنه من غير جنس ما يعهده سمعه وذوقه، وأن مبلغه إلى الناس نبي مرسل، وأنه لا يطيق أن يختلقه أو يفتريه؛ لأنه بشر لا يدخل في قدرته إلا ما يدخل مثله في قدرة البشر، وأنه إن تقوّل غير ما أمر بتبليغه وتلاوته

بان للبشر كذبه، وحق عليه قول منزله من السماء سبحانه ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ . لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ . فَمَا مِنْكُم مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ الحاقة ٤٤-٤٧ .

ولقد اهتم السلف والخلف من هذه الأمة بكتاب ربها، فتلقاه النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي، وتلقفه الصحابة رضي الله عنهم منه فحفظوه وفهموه وعملوا به، ثم جاءت من بعدهم الأجيال المتعاقبة، جيل من بعد جيل، فألفت فيه التآليف الكثيرة، فكتب في أول ما نزل وآخر ما نزل، وأخرى في ناسخه ومنسوخه وأخرى في محكمه ومتشابهه، وكتبٌ في التفسير بأنواعه، بالإضافة إلى كتب في فضائله، ولو رجعنا إلى محتوى أيّ كتاب من هذه الكتب لوجدنا الأبواب والفصول الكثيرة التي لا تكاد تحصى، حتى إنه لم يترك شيء يتعلق بالقرآن الكريم إلا دُرس وأُلِّف فيه، وما ذلك الحفظ إلا لحفظ الله له الذي ذكره بقوله ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(الحجر: ٩) .

فلا يخفى ما للقرآن العظيم من مكانة عند المسلمين، فهو كتاب ربهم وشرعه ودستوره الذي ارتضاه للناس إلى يوم الدين، وهو معجزة نبيهم التي تحدى بِها العرب والعجم .

وقد لقي القرآن الكريم من المسلمين على مر العصور أبلغ العناية، وحظي بأقصى درجات الحرص والحيطة، فكان أهل كل عصر يجتهدون في المحافظة عليه بشتى الوسائل التي تتاح لهم، فلم يخل عصر من العصور، ولم يخل مصر من الأمصار، من حامل للقرآن، يقوم به آناء الليل وأطراف النهار، كما لم يخل من مصحف شريف، سطرت فيه آيات القرآن، وحفظت من التحريف.

ففي زمن النبي، اجتهد صلوات الله وسلامه عليه في حفظ القرآن الكريم، حتى كان يعجل بحفظ القرآن حال نزوله عليه، إلى أن طمأنه الله بأن تحفيظه

مضمون عليه ، فقال ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ القيامة ١٧ – ١٩ ، كما حفظ القرآن خلائق لا يحصون من أصحابه رضي الله عنهم .

وتبرز أهمية القرآن الكريم بأنه من كلام رب العالمين وبما احتواه من إعجاز في لغته وأسلوبه وطرائق توجيهاته وإرشاداته في العبادات والأخلاق وإصلاح المجتمع . إضافة إلى توجيهاته في النواحي القضائية والمالية وفي تنظيم الأسرة والحقوق والواجبات وفي كل ما يهم الفرد والمجتمع، وإن من ضمن خصائص القرآن الكريم دقة ألفاظه وبلاغة معانيه وسهولة حفظه وحب تلاوته إضافة إلى معالجته للقضايا الإنسانية.

والله تعالى الهادي إلى سواء السبيل .

المبحث الأول

تأثير سماع القرآن الكريم في المشركين

فكان القران آية خارقة للمعهود من سنن الاجتماع البشري في تأثيره بالتبع لكونه آية معجزة للبشر في لغته وأسلوبه.

وبعد أن قلّب حياة العرب في الجزيرة العربية من جهل إلى علم، ومن شرك إلى توحيد، ومن فرقة وفوضى إلى اجتماع وتنظيم، اندفعوا كالسيل الأتي على الأقطار من نواحي الجزيرة كلها، فأطاحوا بعروش الأكاسرة والقياصرة أعظم ملوك الأرض واقتلعوا جذور الشرك والظلم ونشروا التوحيد والحق والعدل ودخل الناس في دين الله أفواجاً مختارين الاهتداء بهذا القرآن، لا جرم أن سبب هذا كله هو تأثير القرآن العظيم بهذا الأسلوب الذي نراه في المصحف فقد كان النبي _ صلى الله عليه وسلم _ يجاهد به الكافرين كما أمره ﴿ فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً ﴾الفرقان ٥٢ .

قال الفخر الرازي: وأما قوله ﴿ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبيراً ﴾ فقال بعضهم: المراد بذل الجهد في الأداء والدعاء، وقال بعضهم: المراد القتال، وقال آخرون: كلاهما، والأقرب الأول؛ لأن السورة مكية، والأمر بالقتال ورد بعد الهجرة بزمان وإنما قال ﴿ جِهَاداً كَبيراً ﴾ لأنه لو بعث في كل قرية نذيراً لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ تلك المجاهدات وكثر جهاده من أجل ذلك وعظم فقال له ﴿ وَجَاهِدْهُمْ ﴾ بسبب كونك نذير كافة القرى ﴿ جِهَاداً كَبيراً ﴾ جامعاً لكل مجاهدة .(١)

---

(١) . ينظر: التفسير الكبير جـ٢٤/٨٧ .

وقال العلامة أبو السعود: أي فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة وإظهار الحق والتشدد معهم ،كأنه نهيٌ لرسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ عن المداراة معهم والتلطف في الدعوة، لما أنه _ صلى الله عليه وسلم _ كان يود أن يدخلوا في الإسلام ويجتهد في ذلك بتأليف قلوبهم أشد الاجتهاد ﴿وَجَاهِدْهُمْ ﴾ أي بالقرآن بتلاوة ما في تضاعيفه من القوارع والزواجر والمواعظ وتذكير أحوال الأمم المكذِّبة، ﴿ جِهَاداً كَبيراً﴾ فإن دعوة كل العالمين على الوجه المذكور جهاد كبير لا يقادر قدره كما وكيفا، وقيل: الضمير المجرور لترك الطاعة المفهوم من النهي عن الطاعة، وأنت خبير بأن مجرد ترك الطاعة يتحقق بلا دعوة أصلا وليس فيه شائبة الجهاد فضلا عن الجهاد الكبير، اللهم إلا أن تجعل الباء للملابسة ليكون المعنى وجاهدهم بما ذكر من أحكام القرآن الكريم ملابساً بترك طاعتهم ،كأنه قيل فجاهدهم بالشدة والعنف لا بالملاءمة والمداراة ، وقد جعل الضمير لما دل عليه قول الله تعالى ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:٥١] من كونه صلى الله عليه وسلم نذير كافة القرى؛ لأنه لو بعث في كل قرية نذير لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر من أجل ذلك جهاده وعظم فقيل له صلى الله عليه وسلم وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى ﴿جِهَاداً كَبيراً﴾ جامعا لكل مجاهدة، وأنت خبير بأن بيان سبب كبر المجاهدة بحسب الكمية ليس فيه مزيد ،فإنه بين بنفسه وإنما اللائق بالمقام بيان سبب كبرها وعظمها في الكيفية .(١)

---

(١) . ينظر: إرشاد العقل السليم جـ٦/٢٢٥ .

ولهذا كان الجهاد نوعين: جهاد باليد والسنان وهذا المشارك فيه كثير، والثاني الجهاد بالحجة والبيان وهذا جهاد الخاصة من أتباع الرسل، وهو جهاد الأئمة وهو أفضل الجهادين لعظم منفعته وشدة مؤنته وكثرة أعدائه، ومعلوم أن جهاد المنافقين يكون بالحجة والقرآن، والمقصود أن سبيل الله هي الجهاد وطلب العلم ودعوة الخلق به إلى الله .(١)

ثم كان يربي المؤمنين ويزكيهم، وبهدايته والتأسي بمبلّغه ربّوا الأمم وهذبوها، وقلما يقرؤه أحد كما كانوا يقرءون إلا ويهتدي به كما كانوا يهتدون، ثم حكموا الدنيا وساسوها بهذا القرآن الكريم؛ إذ لم يكن عندهم شيء من العلم بسياسة الأمم وإدارتها إلا هذا القرآن العظيم، والأسوة الحسنة بمبلِّغه ومنفذه الأول، وبسنته المطهرة أقواله وأفعاله وتقريراته صلى الله عليه وسلم ، ولن يعود للمسلمين مجدُهم وعزّهم إلا إذا عادوا إلى هدايته.

لقد كان لهذا القرآن العظيم في حياة الناس مسلمهم وكافرهم تأثير بعيد الغور ، أما تأثيره في الكافرين فبنفوذ بلاغته وعظمة نظمه وأسلوبه في تقرير التوحيد وقوة حجته في ذلك ، ومن المعلوم أنهم كانوا يتفاوتون في الفهم تفاوتاً عظيماً لاختلاف درجاتهم في بلاغة اللغة وفهم المعاني العالية ، فهذا التأثير هو الذي أنطق الوليد بن المغيرة المخزومي بكلمته المشهورة لأبي جهل التي اعترف فيها بأنه الحق الذي يعلو، ولا يعلى، والذي يحطم ما تحته.

فأثره في المعاندين الذين صدوا عنه وأعرضوا ، وما نالهم وينالهم من الخسران المبين في الدنيا والآخرة ، قال تعالى واصفًا حالهم عند تلاوة القرآن عليهم ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا

---

(١) . ينظر: مفتاح دار السعادة جـ١/ ٧٠ .بإيجاز يسير .

إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (الأنفال: ٣١) ، وقال تعالى ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (لقمان: ٧)، وقال – عز وجل – ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴾ (الإسراء: ٤٦) ، وقال تعالى ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾(الأحقاف: ٧) ، وقال تعالى﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الجاثية: ٧–٨) ، فلما تلي عليهم القرآن وأدركوا قوته وَلَّوا وأعرضوا عنه ، وصمُّوا آذانهم، وأعموا أبصارهم، واتهموه بالسحر لَمَّا رأوا ما له من التأثير البالغ .

وقال بعد بيان حال المؤمنين وما أعدّ الله لهم من النعيم المقيم والفوز المبين ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾ (الجاثية: ٣١)، وقال تعالى ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِن ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (الحج: ٧٢)، ولكن ليس لهم إلا الحسرة والندامة يوم القيامة، قال تعالى ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (الزمر: ٧١)، وبعد أن ذكر الله إقرارهم على أنفسهم بالكفر ذكر ندمهم واعترافهم بذنوبهم فقال ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ.فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (الملك: ١٠–١١)، وقال عز وجل ﴿ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ . قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا

ضَالِّينَ. رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ . قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ (المؤمنون: ١٠٥-١٠٨).

وهذا التأثير هو الذي كان يجذب رءوس أولئك الجاحدين المعاندين ليلاً لاستماع تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته على ما كان من نهيهم عنه ونأيهم عنه وتواصيهم وتقاسمهم بألا يستمعوا له ، ثم كانوا يتسللون فرادى مستخفين ويتلاقون في الطريق متلاومين .

وهذا التأثير أيضا هو الذي حملهم على منع أبي بكر الصديق ﷺ من الصلاة والتلاوة في المسجد الحرام ليلاً ، لما كان لتلاوته وبكائه في الصلاة من التأثير الجاذب إلى الإسلام ، وعللوا ذلك بأنه يفتن نساءهم وأولادهم ، بل هذا التأثير هو الذي حملهم على صدّ النّبي صلى الله عليه وسلم بالقوة عن تلاوة القرآن الكريم في البيت الحرام، وفي أسواق الموسم ومجامعه، وعلى نواصيهم بما حكاه الله عنهم في قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾. (فصلت: ٢٦).

فكانوا إذا تلي عليهم القرآن أكثروا اللغط والكلام في غيره حتى لا يسمعوه، فهذا من هجرانه، وترك الإيمان به وترك تصديقه من هجرانه، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه، والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه .

قال الرازي: فكان إذا تكلم رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ في أول هذه السورة بهذه الألفاظ ما فهموا منها شيئاً، والإنسان حريص على ما منع، فكانوا يصغون إلى القرآن ويتفكرون ويتدبرون في مقاطعه ومطالعه رجاء أنه ربما

جاء كلام يفسر ذلك المبهم ويوضح ذلك المشكل، فصار ذلك وسيلة إلى أن يصيروا مستمعين للقرآن ومتدبرين في مطالعه ومقاطعه .(١)

فمن إعجاز القرآن العظيم قوة تأثيره على النفوس والقلوب فإنه ينفذ إلى القلب نفوذ السهم في الرمية، ويسيطر على العقول سيطرة الشمس على أفق الظلام كما شهد بذلك الموالي والمعادي، حتى إن الرجل العادي . فضلاً عن المتعلم . ليسمع القرآن فيجد من نفسه جاذبية عظيمة تجذبه إليه قسراً، يعرف أن هذا ليس من كلام البشر .

فشهادة الوليد بن المغيرة أبلغ فصحاء العرب في القرآن قد أعيت حيل القرشيين في محاربة القرآن بتكذيبه وإطفاء نوره والحد من تأثيره في قلوب سامعيه حينما اجتمعوا عنده يتشاورون فيما يمكن عمله لإبطال سحر البيان في هذا القرآن المعجز الذي كانت وفود القبائل الآتية إلى مكة للحج تستمع إلى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وهو يرتله فيبلغ تأثير القرآن أعماق نفوسهم ويروعهم أسلوبه ومعناه، وحارت قريش في أمرها وكيف يصدون هذه القبائل عن الاجتماع بمحمد والاستماع لرسالته، فكانوا يقولون لهم مرة إنه كاهن، ومرة أخرى يقولون عنه أنه ساحر ومرة ثالثة يقولون عنه إنه شاعر.ولكن عقلاء القبائل ما كانت في قرارة نفسها تصدق هذا الكلام المناقض .

فقد سمع الوليد بن المغيرة عم أبي جهل القرآن مرة من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، فقال لقومه من بني مخزوم: لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه

---

(١) . ينظر: التفسير الكبير جـ٢/١٠.

لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو ، وما يعلى .

قال إسحاق بن راهوايه : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب السختياني عن عكرمة عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له ، فبلغ ذلك أبا جهل ، فأتاه ، فقال : يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ، قال : لم ؟ قال : ليعطوكه ، فإنك أتيت محمداً لتعرض ما قبله ، قال: قد علمت قريش أني أكثرها مالاً ، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له ، قال : وماذا أقول ؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني ، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى، وإنه ليحطم ما تحته، قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه ، قال : قف عني حتى أفكر فيه ، فلما فكر قال : إن هذا إلا سحر يؤثر، يأثره عن غيره ، فنزلت ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا.وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا .وَبَنِينَ شُهُودًا. وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا. ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ.كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا . سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا . إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ . فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ.ثُمَّ نَظَرَ . ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ . ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ . فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ . إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ (المدثر ١١ – ٢٥) (١)

---

(١) . أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، رقم " ٣٨٧٢" وقال هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه ا .هـ ينظر: المستدرك على الصحيحين جـ٢/٥٥٠ .

وقد رواه حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة مرسلاً أنه قرأ عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل ٩٠) . (١)

وأقبل الوليد على القوم بوجهه ، وظن القوم أن الوليد سيقف موقف الداعي لهذا الدين الجديد؛ فالأمر ليس ببعيد ؛ فمِن قَبْله ذهب عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتله ، وعاد من عنده مسلماً ، ولكن الوليد خيّب ظنهم فلم يكن إقباله عليهم إقبال المخلص الداعي لهذا الدين الجديد.بل كان المخلص الداعي لدينهم .

ويتكلم الوليد .. يصيح فيهم بأن قولوا في الرجل قولةً واحدةً .. ولا تختلفوا حتى لا يظهر كذبكم، ويعرض القوم آراءهم : نقول ساحر .. نقول شاعر .. نقول كاهن .. نقول كاذب .. والوليد لا يجد الوصف مناسباً فيردّه ، ويُسند إليه الأمر : قُل أنت يا أبا عمارة نسمع .

ويصمت الوليد .. يجولُ بفكره .. يحاول أن يجد نقيصة في الرجل أو في منهجه ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴾ يحاول الوليدُ ويحاول .. ولكن أنّى له ؟ ! فالرجل هو الصادق الأمين ، ومنهجه هو هو الذي وصفه من قبل بأن له حلاوة وعليه طلاوة .

قال ابن كثير: وفي ذلك قال الله تعالى إخباراً عن جهلهم وقلة عقلهم ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴾ [الأنبياء:٥]، فحاروا ماذا يقولون فيه فكل شيء يقولونه باطل؛ لأن من خرج

---

(١) . أخرجه البيهقي في دلائل النبوة جـ٢/١٩٨.

عن الحق مهما قال أخطأ ، قال الله تعالى ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٩]. (١)

وعن جابر بن عبد الله قال اجتمعت قريش للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوماً، فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر، فليأت هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا ، فليكلمه ولينظر ما يرد عليه. قالوا ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة، قالوا أنت يا أبا الوليد فأتاه عتبة. فقال يا محمد أنت خير أم عبد الله. فسكت رسول الله. ثم قال أنت خير أم عبد المطلب فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت. وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك. إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك ، فرقت جماعتنا وشتت أمرنا وعبت ديننا ففضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً. وأن في قريش كاهنا. والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى بأن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى ، أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا حتى تكون أغنى قريش رجلاً ، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فنزوجك عشراً ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفرغت ؟ قال : نعم ، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿حم . تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ حتى بلغ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت: ١ : ١٣] فقال عتبة حسبك حسبك ما عندك غير هذا ، قال : لا ، فرجع إلى قريش، فقالوا ما وراءك. قال ما تركت شيئا أرى أنكم تكلمونه به إلا كلمته ، قالوا : هل أجابك ؟ قال : نعم ، والذي نصبها بينة ما فهمت شيئا مما قال غير أنه قال : أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة

---

(١) . ينظر: البداية والنهاية جـ٣/٦٢ .

عاد وثمود ، قالوا : ويلك يكلمك رجل بالعربية لا تدري ما قال ، قال : لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة "(١)

وقال محمد بن إسحاق: حدثني داود بن الحسين عن عكرمة عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جهر بالقرآن، وهو يصلي تفرقوا عنه، وأبوا أن يستمعوا منه ، وكان الرجل إذا أراد أن يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو وهو يصلي يسترق السمع دونهم فرقاً منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم، ولم يستمع، وإن خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته فظن الذي يستمع أنهم لم يستمعوا شيئا من قراءته وسمع من دونهم أشاح له يستمع، فأنزل الله تعالى ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ فيتفرقوا عنك ﴿ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ فلا يستمع من أراد أن يستمعها ممن يسترق ذلك دونهم لعله يرعوي إلى بعض ما يسمع فينتفع به ﴿ وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾.(٢)

فلم يزل يقرعهم النبي صلى الله عليه وسلم أشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه أحلامهم ويحط أعلامهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته، يخادعون أنفسهم بالتكذيب والإغراء بالافتراء، وقد سمع أعرابي رجلا يقرأ ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر:٩٤]، فسجد فقيل له في ذلك.فقال سجدت لفصاحة هذا الكلام .

---

(١) . أخرجه أبو يعلى في مسنده، رقم ط١٨١٨" جـ٣/٣٤٩، وعبد بن حميد في مسنده، رقم "١١٢١"جـ١/٣٣٧، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أبو يعلى وفيه الأجلح الكندي وثقة ابن معين وغيره وضعفه النسائي وغيره وبقيه رجاله ثقات .ا.هـ ينظر: مجمع الزوائد جـ٦/٢٠ .

(٢) . ينظر: سيرة ابن إسحاق جـ٤/١٨٦، البداية والنهاية جـ٣/٦١، الخصائص الكبرى للسيوطي جـ١/١٨٨.

وكان موضع التأثير في هذه الجملة هو كلمة [اصدع] في إبانتها عن الدعوة والجهر بها والشجاعة فيها، وكلمة ﴿بما تؤمر﴾ في إيجازها وجمعها، وسمع آخر رجلا يقرأ ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ [يوسف:٨٠]، فقال: أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام(١)، وكون النبي صلى الله عليه وسلم تحدى به وأن العرب عجزوا عن معارضته مما علم بالضرورة إجمالا وتصدى أهل علم البلاغة لتفصيله، قال السكاكي: واعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه، كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها، أو كالملاحة.(٢)

وقال الحليمي: ومن عظم قدر القرآن أنه تعالى خصه بأنه دعوة وحجة ولم يكن مثل ذلك لنبي قط، إنما كان لكل منهم دعوة ثم يكون له حجة غيرها، وقد جمعها الله لرسوله _ صلى الله عليه وسلم _ في القرآن، فهو دعوة بمعانيه حجة بألفاظه. وكفى الدعوة شرفا أن يكون حجتها معها. وكفى الحجة شرفا أن لا تنفصل الدعوة عنها .(٣)

وجمع كل شيء. ومن ذلك الإخبار بالمغيبات. وكان ما كان منها على طبق ما أخبر به. وكذلك الإخبار عن القرون السالفة كقصة موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام. وقصة أهل الكهف. وقصة ذي القرنين والأمم الماضية كقصص الأنبياء مع أممهم .

ومن أحوالهم الدالة على تأثير القرآن فيهم أنه ربما وصلت آيات منه إلى مسمع أشدهم عداوة للإسلام فإذا به يتحول إلى أشدهم له مودة ، ويلقي وراء

---

(١) . ينظر: السيرة الحلبية جـ٣/٣٤٥ .

(٢) . ينظر: البرهان للزركشي جـ١/٣١١، الإتقان جـ٢/٤٧٨ .

(٣) . ينظر: فيض القدير جـ٤/٥٣٦ .

ظهره كل ما كان يكنه من عداوة وبغض للإسلام ونبيه ، بل ويتقدم مبايعاً موقناً أن هذه الكلمات ليست من قول بشر ، حدث هذا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ خرج ذات مساء متوشحاً سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطًا من أصحابه في بيت عند الصفا ، سمع أنهم مجتمعون فيه ، فقابله أحد أصحابه وعرف مقصده، فقال له : غرتك نفسك يا عمر ، أفلا رجعت إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ، فسأله عمر وقد رابه ما سمع : أي أهل بيتي تعني ؟ فأخبره أن صهره (وابن عمه) سعيد بن زيد قد أسلم ، وكذلك أسلمت زوجته أخت عمر فاطمة بنت الخطاب ، فذهب إليها عمر مغيظاً محنقاً ، وهنا سمع خباباً يتلو عليهما القرآن ، فاقتحم الباب وبطش بصهره وبأخته فاطمة ، ثم أخذ الصحيفة التي لمح أخته تخفيها عند دخوله ، فلما قرأ صدراً منها من سورة طه قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ، ثم ذهب من فوره إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأعلن إسلامه.فكبر النبي تكبيرة عرف أهل البيت من أصحابه أن عمر قد أسلم وأعز الله به الإسلام.(١)

قال الدكتور أكرم ضياء العمري في عرضه لقصة إسلام عمر رضي الله عنه : أما قصة استماعه القرآن يتلوه الرسول صلى الله عليه وسلم في صلاته قرب الكعبة وعمر مستخف بأستارها، وكذلك قصته مع أخته فاطمة حين لطمها لإسلامها، وضرب زوجها سعيد بن زيد ، ثم اطلاعه على صحيفة فيها آيات وإسلامه ، فلم يثبت شيء من هذه القصص من طريق صحيحة ، ولكن الحافظ ابن حجر ذكر أن الباعث له على دخوله الإسلام ما سمع في بيت أخته فاطمة

---

(١) . ينظر: السيرة النبوية لابن هشام جـ٢/١٨٨، الكامل في التاريخ جـ١/٦٠٢ .

من القرآن.⁽¹⁾، ولا شك أن القرآن ببيانه الساحر، وروعة تصويره لمشاهد القيامة، وصفة الجنة والنار كان له تأثير في اجتذاب عمر إلى صف المسلمين؛ لأن عمر كان يتذوق الكلام البليغ ويعجب به، وعدم ثبوت الروايات حديثيا لا يعنى حتمية عدم وقوعها تاريخيا)⁽²⁾ .

وعندما رأى المشركون تأثير القرآن فيمن يستمع إليه، كان طريقهم لمقاومته، هو الحيلولة بمختلف الوسائل بين القرآن والناس، مهما كلفهم ذلك من تضحية، فتواصوا بعدم سماعه، وكانوا يلاقون القبائل الواردة إلى مكة في المواسم، يحذرونهم منه، ويحكي القرآن الكريم ذلك عنهم في قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ فصلت ٢٦ .

كلمة كان يوصي بها الكبراء من قريش أنفسهم ويغرون بها الجماهير؛ وقد عجزوا عن مغالبة أثر القرآن في أنفسهم وفي نفوس الجماهير، وهي مهاترة لا تليق، ولكنه العجز عن المواجهة بالحجة والمقارعة بالبرهان ، ينتهي إلى المهاترة ، عند من يستكبر على الإيمان .

وما ذلك إلا لأنهم أدركوا تأثير هذا القرآن فيهم وفي أتباعهم، وهم يرون هؤلاء الأتباع كأنهم يسحرون بين عشية وضحاها بالآيات يسمعون إليها، فتنقاد إليها النفوس، وتهوي إليها الأفئدة.

هذا ، ولقد كان بعض الكبراء من قريش يأتون ليلاً خفية يستمعون تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن كما جرى ذلك لأبي جهل وأبي سفيان وغيرهما، وهذه القصص وأمثالها تدل دلالة ظاهرة على تأثير القرآن في النفوس

---

(١) . يشير إلى ما ذكره ابن حجر في الفتح جـ٧/١٧٦ .

(٢) . ينظر: السيرة النبوية الصحيحة ١/١٨٠، ١٨١

وأخذه بمجامع القلوب، ولكن هذا التأثير قد لا يظهر لكل أحد ، إنما يظهر لمن كان له ذوق ومعرفة بأساليب الكلام وبلاغة اللسان.

نعم لقد كان كبراء قريش يستمعون إلى القرآن ، ولكنهم يجاهدون قلوبهم ألا ترق له ، ويمانعون فطرتهم أن تتأثر به ؛ فجعل الله بينهم وبين الرسول حجاباً خفياً ، وجعل على قلوبهم أغلفة فلا تفقه القرآن ، وجعل في آذانهم وقرا فلا تعي ما فيه من توجيه ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا . وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا . نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٥:٤٧] وقد رُوِىَ في السيرة عن محمد بن مسلم ابن شهاب عن الزهري أنه حدث أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس ابن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بالليل في بيته ؛ فأخذ كل واحد منهم مجلساً يستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، حتى إذا جمعتهم الطريق تلاوموا ، فقال بعضهم لبعض : لا تعودوا ، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا وجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قاله أول مرة ، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعتهم الطريق ؛ فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ، ثم تفرقوا ، فلما أصبح الأخنس ابن شريق أخذ عصاه ،

ثم خرج حتى أتى أبا سفيان بن حرب في بيته ، فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ، قال : يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها، قال الأخنس : وأنا والذي حلفت به ، قال : ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل ، فدخل عليه بيته ؛ فقال : يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ قال : ماذا سمعت ؟ قال : تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك هذه ؟ والله لا نؤمن به أبداً، ولا نصدقه ! قال : فقام عنه الأخنس وتركه.(١)

فهكذا كان القوم تتأثر بالقرآن الكريم فطرتهم فيصدونها، وتجاذبهم إليه قلوبهم فيمانعونها ، فجعل الله بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم حجاباً خفياً لا يظهر للعيون ولكن تحسه القلوب ، فإذا هم لا ينتفعون به ، ولا يهتدون بالقرآن الذي يتلوه . وهكذا كانوا يتناجون بما أصاب قلوبهم من القرآن ، ثم يتآمرون على عدم الاستماع إليه؛ ثم يغلبهم التأثر به فيعودون ، ثم يتناجون من جديد ، حتى إنهم ليتعاهدون على عدم العودة ليحجزوا أنفسهم عن هذا القرآن المؤثر الجذاب الذي يخلب القلوب والألباب! ذلك أن عقيدة التوحيد التي يدور عليها هذا القرآن كانت تهددهم في مكانتهم وفي امتيازاتهم وفي كبريائهم فينفرون منها، قال تعالى ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴾ [الإسراء:٤٦]، نفوراً من كلمة التوحيد، التي تهدد وضعهم الاجتماعي ، القائم على أوهام الوثنية وتقاليد الجاهلية ، وإلا فقد كان كبراء قريش أذكى من أن يخفى عليهم ما في عقائدهم من تهافت ، وما في

---

(١) . ينظر: السيرة النبوية لابن إسحاق جـ٤/١٦٩، السيرة النبوية لابن هشام جـ٢/١٥٦ .

الإسلام من تماسك ، وأعرف بالقول من أن يغيب عنهم ما في القرآن من سمو وارتفاع وامتياز . وهم الذين لم يكونوا يملكون أنفسهم من الاستماع إليه والتأثر به ، على شدة ما يمانعون قلوبهم ويدافعونها!

ولقد كانت الفطرة تدفعهم إلى التسمع والتأثر؛ والكبرياء تدفعهم عن التسليم والإذعان؛ فيطلقون التهم على الرسول يعتذرون بها عن المكابرة والعناد : ﴿ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾ [الإسراء:٤٧] وهذه الكلمة ذاتها تحمل في ثناياها دليل تأثرهم بالقرآن الكريم؛ فهم يستكثرون في دخيلتهم أن يكون هذا قول بشر؛ لأنهم يحسون فيه شيئاً غير بشري، ويحسون دبيبه الخفي في مشاعرهم فينسبون قائله إلى السحر، يرجعون إليه هذه الغرابة في قوله، وهذا التميز في حديثه ، وهذا التفوق في نظمه . فمحمد إذن لا ينطق عن نفسه ، إنما ينطق عن السحر بقوة غير قوة البشر! ولو أنصفوا لقالوا : إنه من عند الله عز وجل ، فما يمكن أن يقول هذا إنسان ، ولا خلق آخر من خلق الله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد أن ذكر أنواعاً من إعجاز القرآن : وهذه الأمور من ظهرت له من أهل العلم والمعرفة ظهر له إعجازه من هذا الوجه، ومن لم يظهر له ذلك اكتفى بالأمر الظاهر الذي يظهر له ولأمثاله كعجز جميع الخلق عن الإتيان بمثله مع تحدي النبي صلى الله عليه وسلم وإخباره بعجزهم فإن هذا أمر ظاهر لكل أحد.(١)

فقد ثبت أن القرآن الكريم جذبهم إليه بقوته في مظاهر كثيرة نذكر بعضها على سبيل التمثيل:

---

(١) . ينظر: الجواب الصحيح جـ٥/٤٣٥ .

المظهر الأول: أن هؤلاء المشركين مع حربهم له ونفورهم مما جاء به كانوا يخرجون من جنح الليل البهيم يستمعون إليه والمسلمون يرتلونه في بيوتهم فهل ذاك إلا لأنه استولى على مشاعرهم ولكن أبى عليهم عنادهم وكبرهم وكراهتهم للحق أن يؤمنوا به.بل جاءهم بالحق.وأكثرهم للحق كارهون .

المظهر الثاني : أن أئمة الكفر من المشركين كانوا يجتهدون في صد رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ عن قراءته في المسجد الحرام وفي مجامع العرب وأسواقهم.وكذلك كانوا يمنعون المسلمين من إظهاره حتى لقد هالهم من أبي أبكر أن يصلي به في فناء داره.وذلك لأن الأولاد والنساء كانوا يجتمعون عليه يستمتعون بلذة هذا الحديث.ويتأثرون به ويهتزون له .

المظهر الثالث: أنهم ذعروا ذعرا شديداً من قوة تأثيره ونفوذه إلى النفوس على رغم صدهم عنه واضطهادهم لمن أذعن له.فتواصوا على ألا يسمعوه وتعاقدوا على أن يلغوا فيه إذا سمعوه .

المظهر الرابع: أن بعض شجعانهم وصناديدهم كان الواحد منهم يحمله طغيانه وكفره وتحمسه لموروثه على أن يخرج من بيته شاهرا سيفه معلنا غدره ناويا القضاء على دعوة القرآن ومن جاء بالقرآن.فما يلبث حين تدركه لمحة من لمحات العناية وينصت إلى صوت القرآن في سورة أو آية حتى يذل للحق ويخشع ويؤمن بالله ورسوله وكتابه ويخضع، وإن أردت شاهدا على هذا فاستعرض قصة إسلام عمر وهي مشهورة، أو فتأمل كيف أسلم سعد بن معاذ سيد قبيلة الأوس هو وابن أخيه أسيد بن حضير رضي الله عنهم أجمعين، وإليك كلمة قصيرة عن إسلام سعد وأسيد فيها نفع كبير.(١)

---

(١) . ينظر: مناهل العرفان جـ٢/٢٩٦ .

تروي كتب السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مكة قبل الهجرة أرسل مع أهل المدينة الذين جاؤوا وبايعوه بيعة العقبة مبعوثين جليلين يعلمانهم الإسلام وينشرانه في المدينة هما مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنهما وقد نجح هذان في مهمتهما نجاحا بالغا وكان لها تأثير بالغ جزع لمثله سعد بن معاذ سيد قبيلة الأوس حتى قال لابن أخيه أسيد بن حضير ألا تذهب إلى هذين الرجلين اللذين أتيا يسفهان ضعفاءنا فتزجرهما، فلما انتهى إليهما أسيد قال لهما: ما جاء بكما تسفهان ضعفاءنا.ثم هددهما، وقال اعتزلا إن كانت لكما في أنفسكما حاجة، رضي الله عن مصعب فقد تغاضى عن هذا التهديد، وقال لأسيد في وقار المؤمن وثباته أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمرا قبلته وإن كرهته كففنا عنك ما تكره، ثم قرأ مصعب القرآن وأسيد يسمع فما قام من مجلسه حتى أسلم ثم كر راجعا إلى سعد، فقال له: والله ما رأيت بالرجلين بأسا.فغضب سعد وذهب هو نفسه ثائرا مهتاجا.فاستقبله مصعب بما استقبل به أسيدا.وانتهى الأمر بإسلامه أيضا.ثم كر راجعا فجمع قبيلته.وقال لهم ما تعدونني فيكم.قالوا سيدنا وابن سيدنا.فقال سعد كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تسلموا، فأسلموا أجمعين .(١)

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى: ما أظن امرأ سليم الفكر والضمير يتلو القرآن أو يستمع إليه ثم لا يزعم أنه لم يتأثر به: قد نقول: فلم يتأثر به؟ والجواب أنه ما من هاجس يعرض للنفس الإنسانية من ناحية الحقائق الدينية إلا ويعرض القرآن له بالهداية وسداد التوجيه.

---

(١) . ينظر: تاريخ ابن الوردي جـ١/١٠٤، عمدة القارئ جـ١٦/٢٦٧، مختصر السيرة لمحمد بن عبد الوهاب ص١١٨ .

إن القرآن الكريم بأسلوبه الفريد يرد الصواب إلى أولئك جميعا، وكأنه يعرف ضائقة كل ذي ضيق، وزلة كل ذي زلل، ثم تكفل بإزاحتها كلها، كما يعرف الراعي أين تاهت خرافه، فهو يجمعها من هنا وهناك، لا يغيب عن بصره ولا عن عطفه واحد منها... حتى الذين يكذبون بالقرآن ويرفضون الاعتراف بأنه من عند الله.. إنهم يقفون منه مثلما يقف الماجن أمام أب ثاكل! قد لا ينخلع من مجونه الغالب عليه، ولكنه يؤخذ فترة ما بصدق العاطفة الباكية، أو مثلما يقف الخلي أمام خطيب يهدر بالصدق، ويحدث العميان عن اليقين الذي يرى ولا يرون.. إنه قد يرجع مستهزئا، ولكنه يرجع بغير النفس التي جاء بها. (١)

هذا التأثير النفسي الذي أشار إليه الشيخ رحمه الله هو من أظهر خصائص القرآن الكريم التي تبرز عند سماعه ، فيمضي سامعه في تفكير يملك عليه أقطار نفسه، فيفضي به إلى الإيمان إذا صفت نفسه واستقامت فطرته ، أو يفضي به إلى مزيد من العناد يدفع به هذا التأثير الغالب خشية الاقتناع به إذا كان السامع غليظ القلب جاحدا للحق مظلم النفس، وعندها يأتي من أبواب التدليس والكذب ما يعلل به هذا العناد.

ولكل مما ذكرنا مما يفضي إليه تأثير القرآن في نفوس سامعيه أمثلة:

فمن أمثلة التأثير المفضي إلى الإيمان ما أخرجه البخاري من حديث جبير ابن مطعم أنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا

---

(١) . ينظر: نظرات في القرآن للغزالي ص١٢٧، ١٢٨

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ ﴾ (الطور: ٣٥-٣٧) كاد قلبي أن يطير » (١).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعال قوله: " كاد قلبي أن يطير" قال الخطابي : كأنه انزعج عند سماع هذه الآية لفهمه معناها، ومعرفته بما تضمنته، ففهم الحجة فاستدركها بلطيف طبعه، ثم قال (فلهذا انزعج جبير حتى كاد قلبه يطير، ومال إلى الإسلام) (٢) .

أما التأثير الذي قوبل بالعناد لدفعه وعدم الاستسلام له، فمن أمثلته ما ذكره السيوطي وغيره من مجيء عتبة بن ربيعة إلى النبي صل الله عليه وسلم وكلامه إياه فيما جاء به قومه مما يخالف ما هم عليه، وأن النبي صل الله عليه وسلم تلا عليه سورة فصلت إلى قوله تعالى ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ وعند ذلك أمسك عتبة بيده على فم رسول الله صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف ، وأنه قام لا يدري بِمَ يراجع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قومه حتى أتوه فاعتذر لهم وقال: والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت أذناي بمثله قط، فما دريت ما أقول له (٣) .

وعاند عتبة وظل على كفره، وكان من قتلى المشركين في بدر، ومن هذا القبيل كذلك ما ورد في شأن الوليد بن المغيرة .

إن الأثر الذي يحدثه القرآن أعظم من أن تقوم له من الأرض جبالها الرواسي ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الحشر: ٢١).

---

(١) . أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب تفسير سُورَةُ ﴿وَالطُّورِ﴾، رقم "٤٥٧٣" جـ١٨٣٩/٤ .

(٢) ينظر: فتح الباري جـ٨ / ٦٠٣ .

(٣) . يراجع في ذلك: الدر المنثور للسيوطي جـ٣١٠/٧، ٣١١

وفي طبيعة هذا الأثر لدى المؤمنين جاء قول الله تعالى ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (الزمر:٢٣).

وفي طبيعة هذا الأثر لدى المعاندين جاء قول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ (الإسراء:٤١) ، وفي كليهما على طريق المقابلة جاء قوله تعالى ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (الإسراء:٨٢) .

هذا هو أثر القرآن تنطق به آياته المباركة، وينطق به كذلك واقع الناس في كل وقت، ومازلنا نشاهد هذا الأثر في نفوس سامعيه: خشوعا وخضوعا للحق إذا صفت الفطرة واستقامت النفوس، وخوفا من سطوة هذا الأثر إذا أظلمت القلوب وأصرت على الكفر، فتتخذ حينئذ من أجل ذلك وسائل تحول بينها وبين هذا التأثير، قال الله تعالى﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (فصلت:٢٦).

ذلك هو ما اصطلح على تسميته – من بين وجوه إعجاز القرآن – بالإعجاز النفسي ، وهو موضع عناية علماء المسلمين من قديم ، قال القاضي عياض مشيرا إلى تأثير سماع القرآن في النفوس وهو يعد من وجوه الإعجاز : (ومنها : الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه ، والهيئة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله ، وهى على المكذبين به أعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ، ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ، ويودون انقطاعه لكراهتهم

له...،وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته إياه مع تلاوته توليه انجذابا ، وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه ، وتصديقه به) (١) .

فالقرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية، وخاتمها، وأطولها، وأشملها، وهو الحاكم عليها؛ فهو مشتمل على ما اشتملت عليه الكتب السماوية السابقة، ويزيد عليها من المطالب الإلهية، والأخلاق النفسية، والقرآن فيه نبأ السابقين، واللاحقين، وفيه الحكم، والحكمة، والأحكام.

والقرآن هو الحاكم المهيمن على الكتب السابقة؛ فما شهد له بالصدق فهو المقبول، وما حكم عليه بالرد فهو مردود قد دخله التحريف والتبديل.

والقرآن جاء في الذروة من الفصاحة والبلاغة والإعجاز؛ فهو معجز في لفظه، ومعناه، وفي فصاحته، وإخباره عن الغيوب السابقة واللاحقة، وهو معجز في حكمه وأحكامه وفي كل ما جاء به، ولهذا يخضع له كل متمسك بالكتب المتقدمة؛ لأنها دلَّت عليه، وبشَّرت به.

فالعمل إذاً يكون بالقرآن الكريم، ولا يُقبل من أحد دينٌ إلا ما جاء في هذا القرآن؛ فهو رسالة الله الأخيرة للبشرية، بل هو عامٌّ للجن والإنس؛ بخلاف الكتب السماوية الأخرى التي كانت خاصة بأقوام معينين، وفترات معينة.

ثم إن القرآن محفوظ من الزيادة ، والنقص ، والتحريف ؛ فلقد تكفل الله_سبحانه_بحفظه ، قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر:٩)، والذكر هو القرآن ، والسنة النبوية .

والقرآن له أثر عظيم في القلوب؛ فما يسمعه أحد وهو ملقٍ سمعه إلا يجد أن له تأثيراً عظيماً في نفسه، ولو لم يفهم معانيه أو دلالاته، حتى ولو لم يكن يعرف اللغة العربية ، وهذا سرٌّ من أسرار القرآن التي تبيِّن عظمته.

---

(١) . الشفا بتعريف حقوق المصطفى جـ١/ ٢٣٠، ٢٣١ بتصرف .

ثم إن القرآن له أبلغ الأثر في رُقي الأمم وفلاحها؛ فهو الذي أخرج الله به من أمة العرب أعلام الحكمة والهدى، وجعلهم خير أمة أُخرجت للناس، بعد أن كانوا يتخبطون في دياجير الجهالة.

ومن خصائص القرآن: أن عجائبه لا تنقضي، وأنه لا يَخْلَق من كثرة الرد؛ فكلما أكثر الإنسان من قراءته زادت حلاوته مرة بعد مرة.

ومن خصائصه: أن الله يسَّر تعلمه وحفظه؛ ولهذا فإن كثيراً من أطفال المسلمين يحفظونه كاملاً عن ظهر قلب.

ومن خصائصه: أنه مشتمل على أعدل الأحكام، وأعظمها، وأشرفها، وأشملها، فلم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا وأحاط بها إجمالاً وتفصيلاً، ويشهد بذلك كل منصف عاقل، حتى ولو لم يكن مسلماً.

إن الدعوة إلى دين الله تعالى وإلى شريعة الله لا تكون إلا بالطرق التي شرعها الله عز وجل ، ولا شك أن الدعوة بالقرآن والسنة هي أقرب وسيلة إلى القبول، لكن لا مانع من أن يكون لدى الإنسان أدلة عقلية يؤيد بها الكتاب والسنة؛ لأن من الناس من لا يؤمن بالأدلة السمعية أي: بالقرآن والسنة، لكن إذا أتته الأدلة العقلية اقتنع، وهذا موجود في القرآن، فإن الله تعالى يحاج بعض المشركين بالأدلة العقلية، وهذا إبراهيم قال لأبيه:﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً ﴾ [مريم:٤٢] فحاجه بالأدلة العقلية، وكذلك حاج قومه بذلك –بالأدلة العقلية– حين رأى كوكباً، فقال: هذا ربي، ورأى القمر فقال: هذا ربي، ورأى الشمس فقال: هذا ربي، وكلها لما غابت تبينت أنها ليست آلهة، وأما كون النصارى واليهود لا يؤمنون بالقرآن فلا يخالهم لا يؤمنون به، لكن لا يؤمنون بعموم الرسالة .

المبحث الثاني

تأثير سماع القرآن الكريم في أهل الكتاب

وجاءت دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام من بعد دعوة الناس كافة إلى عبادة ربهم عز وجل ، وهم من جملة الناس تأكيدا لتلك الدعوة؛ ولأنَّهم أحقُّ الناس بالاستجابة لها والدخول فيها سراعاً، قال تعالى ﴿ وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾ (البقرة: ٤١) ولأنهم أعلم الناس حينذاك بصدق الدعوة المحمدية، وإذا ما آمن أهل الكتاب بالإسلام كان ذلك أدعى إلى دخول غيرهم فيه أفواجاً، لذلك بسطت آيات ذلك العقد بسطا، وعظم القول في أهل الكتاب ونَعَى عليهم كثيراً من أفاعيلهم وكتمانهم الحق وهم يعلمون ، وتبديلهم قولاً غير الذي قيل لهم، وتوليهم من بعد أخذ الميثاق عليهم أن يأخذوا ما آتاهم بقوة ، ويذكروا ما فيه، وإيمانهم ببعض الكتاب وكفرهم ببعض، وكفرهم بالكتاب المصدق لما معهم، وإعلانهم الإيمان بما أنزل عليهم وكفرهم بما وراء ذلك ، ونبذهم كتاب الله وراء ظهورهم كأنَّهم لا يعلمون ، وودّهم ردّ المسلمين عن دينهم ، وإنكارهم تحويل القبلة، وكتمانهم ما أنزل الله تعالى من البينات والهدى من بعد ما بينه للناس في الكتاب ، فكان هذا البسط اعتناءً بشأن دعوتهم إلى الإسلام.

وهذا القرآن الذي يعرف كل أحد أنه الكتاب الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم مملوء من دعوة أهل الكتاب إلى أتباعه وتكفير من لم يتبعه منهم ولعنه كما جاء بتكفير من لم يتبعه من المشركين وذمه، فقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ ﴾ [النساء:٤٧]،

وفي القرآن الكريم من قوله ﴿يا أهل الكتاب﴾ ، ﴿يا بني إسرائيل﴾ ما لا يحصى إلا بكلفة .

وقال تعالى ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ﴾ [البينة:١]، ومثل هذا في القرآن كثير جداً، وقد قال تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف:١٥٨]

فكان من أهل الكتاب من الذين أراد الله تعالى بهم خيرًا كانوا قد تأثروا عند سماع القرآن الكريم، قال تعالى ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [المائدة:٨٣]. هؤلاء أقرب الناس مودة للذين آمنوا، الذين يتأثرون إذا سمعوا القرآن ثم يسلمون في النهاية ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾.

قال الرازي: الضمير في قوله ﴿ سَمِعُوا ﴾ يرجع إلى القسيسين والرهبان الذين آمنوا منهم، ﴿ وَمَا أُنزِلَ﴾ يعني القرآن، إلى الرسول يعني محمداً عليه الصلاة والسلام. قال ابن عباس يريد النجاشي وأصحابه، وذلك؛ لأن جعفر الطيار قرأ عليهم سورة مريم، فأخذ النجاشي تبنة من الأرض، وقال والله ما زاد على ما قال في الإنجيل مثل هذا وما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر من القراءة.(١)

فإن النجاشي قد تأثر تأثراً بالغاً عند سماعه القرآن الكريم ، فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده عن ابن شِهَابٍ عن أبي بَكْرِ بن عبد الرحمن بن الحرث

---

(١) . ينظر: التفسير الكبير جـ١٢/٥٧ .

ابن هِشَامٍ المخزومي عن أُمِّ سَلَمَةَ ابْنَةِ أبي أُمَيَّةَ ابن الْمُغِيرَةِ زَوْجِ النبي صلى الله عليه وسلم قالت : لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ جَاوَرْنَا بها خَيْرَ جَارٍ النجاشي، آمنا على دِينِنَا وَعَبَدْنَا اللَّهَ لاَ نُؤْذَى، وَلاَ نَسْمَعُ شَيْئاً نَكْرَهُهُ، فلما بَلَغَ ذلك قُرَيْشاً ائْتَمَرُوا أَنْ يَبْعَثُوا إلى النجاشي فِينَا رَجُلَيْنِ جَلِدَيْنِ، وأن يهدوا للنجاشي هَدَايَا مِمَّا يُسْتَطْرَفُ من مَتَاعِ مَكَّةَ، وكان من أَعْجَبِ ما يَأْتِيهِ منها إليه الأَدَمُ، فَجَمَعُوا له أَدَماً كَثِيراً ولم يَتْرُكُوا من بطاركته بِطْرِيقاً إلا أَهْدَوْا له هَدِيَّةً ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ مع عبد اللَّهِ بن رَبِيعَةَ بن الْمُغِيرَةِ المخزومي، وَعَمْرِو بن الْعَاصِ بن وَائِلٍ السهمي وَأَمَرُوهُمَا أَمْرَهُمْ، وَقَالُوا لَهُمَا: ادفعوا إلى كل بِطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ قبل أن تُكَلِّمُوا النجاشي فِيهِمْ ثُمَّ قَدِّمُوا للنجاشي هَدَايَاهُ ثُمَّ سَلُوهُ أن يُسْلِمَهُمْ إِلَيْكُمْ قبل أن يُكَلِّمَهُمْ، قالت: فَخَرَجَا فقدما على النجاشي، وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ وَعِنْدَ خَيْرِ جَارٍ، فلم يَبْقَ من بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقٌ إلا دَفَعَا إليه هَدِيَّتَهُ قبل أن يُكَلِّمَا النجاشي ثُمَّ قَالاَ لِكُلِّ بِطْرِيقٍ منهم إنه قد صبا إلى بَلَدِ الْمَلِكِ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَم يَدْخُلُوا في دِينِكُمْ وجاؤوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لاَ نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلاَ أَنْتُمْ وقد بَعَثَنَا إلى الْمَلِكِ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ لِنَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ فإذا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ فَتُشِيرُوا عليه بِأَنْ يُسْلِمَهُمْ إِلَيْنَا وَلاَ يُكَلِّمَهُمْ فإن قَوْمَهُمْ أَعَلَى بِهِمْ عَيْناً وأعلم بِمَا عَابُوا عليهم فَقَالُوا لَهُمَا نعم، ثُمَّ أنهما قَرَّبَا هَدَايَاهُمْ إلى النجاشي فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا ثُمَّ كَلَّمَاهُ فَقَالاَ له أَيُّهَا الْمَلِكُ: إنه قد صبا إلى بَلَدِكَ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ ولم يَدْخُلُوا في دِينِكَ وجاؤوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لاَ نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلاَ أنت وقد بَعَثَنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ من آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ لِتَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ فَهُمْ أَعَلَى بِهِمْ عَيْناً وأعلم بِمَا عَابُوا عليهم وَعَاتَبُوهُمْ فيه، قالت ولم يَكُنْ شيء أَبْغَضَ إلى عبد اللَّهِ ابن أبي رَبِيعَةَ وَعَمْرِو بن الْعَاصِ من أن يَسْمَعَ النجاشي كَلاَمَهُمْ، فقالت بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ صَدَقُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ قَوْمُهُمْ أَعَلَى بِهِمْ

عَيْناً وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عليهم فَأَسْلِمْهُمْ إِلَيْهِمَا فَلْيَرُدَّاهُمْ إلى بِلاَدِهِمْ وَقَوْمِهِمْ، قال فَغَضِبَ النجاشي ثُمَّ قال لا ها اللَّهِ أيم اللَّهِ إِذاً لاَ أُسْلِمُهُمْ إِلَيْهِمَا وَلاَ أَكَادُ قَوْماً جاوروني وَنَزَلُوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أَدْعُوَهُمْ فاسألهم ما يقول هَذَانِ في أَمْرِهِمْ فَإِنْ كَانُوا كما يَقُولاَنِ أَسْلَمْتُهُمْ إِلَيْهِمَا وَرَدَدْتُهُمْ إلى قَوْمِهِمْ وإن كَانُوا على غَيْرِ ذلك مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمَا وَأَحْسَنْتُ جِوَارَهُمْ ما جاوروني قالت: ثُمَّ أَرسَلَ إلى أَصْحَابِ رسول اللَّهِ صل الله عليه وسلم فَدَعَاهُمْ فلما جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا ثُمَّ قال بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ما تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إذا جِئْتُمُوهُ؟ قالوا: نَقُولُ: والله ما عَلَّمَنَا وما أَمَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا كَائِنٌ في ذلك ما هو كَائِنٌ، فلما جاءه وقد دَعَا النجاشي أَسَاقِفَتَهُ، فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ سَأَلَهُمْ، فقال: ما هذا الدِّينُ الذي فَارَقْتُمْ فيه قَوْمَكُمْ، ولم تَدْخُلُوا في ديني وَلاَ في دِينِ أَحَدٍ من هذه الأُمَمِ؟ قالت: فَكَانَ الذي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بن أبي طَالِبٍ، فقال له: أَيُّهَا الْمَلِكُ كنا قَوْماً أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ وَنَقْطَعُ الأَرْحَامَ ونسيء الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ فَكُنَّا على ذلك حتى بَعَثَ الله إِلَيْنَا رَسُولاً مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ فَدَعَانَا إلى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ ما كنا نَحْنُ نعبد وَآبَاؤُنَا من دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالأَوْثَانِ وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الحديث وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الْجِوَارِ وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَأَمَرَنَا بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ قال فَعَدَّدَ عليه أُمُورَ الإِسْلاَمِ فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ على ما جاء بِهِ فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ فلم نُشْرِكْ بِهِ شَيْئاً وَحَرَّمْنَا ما حُرِّمَ عَلَيْنَا وَأَحْلَلْنَا ما أُحِلَّ لنا فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عن دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إلى عِبَادَةِ الأَوْثَانِ من عِبَادَةِ اللَّهِ وأن نَسْتَحِلَّ ما كنا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ ، فلما قَهَرُونَا وَشَقُّوا عَلَيْنَا وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا خَرَجْنَا

إلى بَلَدِكَ وَاخْتَرْنَاكَ على من سِوَاكَ وَرَغِبْنَا في جِوَارِكَ وَرَجَوْنَا أَنْ لاَ نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ، قالت : فقال له النجاشي : هل مَعَكَ مِمَّا جاء بِهِ عَنِ اللَّهِ من شيء ؟ قالت: فقال له جَعْفَرٌ: نعم. فقال له النجاشي فَاقْرَأْهُ علي فَقَرَأَ عليه صَدْراً من ﴿كهيعص﴾ قالت: فَبَكَى والله النجاشي حتى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حتى أخضلوا مَصَاحِفَهُمْ حين سَمِعُوا ما تَلاَ عليهم، ثُمَّ قال النجاشي: إن هذا والله والذي جاء بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ من مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ ، انْطَلِقَا فَوَاللَّهِ لاَ أُسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَداً وَلاَ أَكَادُ ، قالت أُمُّ سَلَمَةَ : فلما خَرَجَا من عِنْدِهِ قال عَمْرُو ابن الْعَاصِ والله لأنبئنهم غداً عَيْبَهُمْ عندهم ثُمَّ استأصل بِهِ خَضْرَاءَهُمْ، قالت فقال له عبد اللَّهِ بن أَبِي رَبِيعَةَ وكان أَتْقَى الرَّجُلَيْنِ فِينَا لاَ تَفْعَلْ فإن لهم أَرْحَاماً وَإِنْ كَانُوا قد خَالَفُونَا ، قال والله لأُخْبِرَنَّهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى ابن مَرْيَمَ عَبْدٌ ، قالت : ثُمَّ غَدَا عليه الْغَدَ فقال له : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ في عِيسَى ابن مَرْيَمَ قَوْلاً عَظِيماً، فَأَرْسِلْ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فيه قال فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عنه قالت: ولم يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهُ فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ فقال بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ في عِيسَى إذا سَأَلَكُمْ عنه قالوا: نَقُولُ والله فيه ما قال الله وما جاء بِهِ نَبِيُّنَا كَائِناً في ذلك ما هو كَائِنٌ فلما دَخَلُوا عليه قال لهم ما تَقُولُونَ في عِيسَى ابن مَرْيَمَ فقال له جَعْفَرُ بن أَبِي طَالِبٍ نَقُولُ فيه الذي جاء بِهِ نَبِيُّنَا هو عبد اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ، قالت فَضَرَبَ النجاشي يَدَهُ إلى الأَرْضِ فَأَخَذَ منها عُوداً ثُمَّ قال: ما عَدَا عِيسَى ابن مَرْيَمَ ما قُلْتَ هذا الْعُودَ فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حين قال ما قال، فقال وإن نَخَرْتُمْ والله، اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بأرضي وَالسُّيُومُ الآمِنُونَ من سَبَّكُمْ غُرِّمَ ثُمَّ من سَبَّكُمْ غُرِّمَ .."(١)

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، رقم "١٧٤٠" جـ١/٢٠١، والبيهقي في سننه الكبرى، كتاب: =

فالنجاشي من وراء البحار والقفار، سمع دعوى النبوة، وصدق بنبوة النبي – صلى الله عليه وسلم – بناءً عَلَى بديهة ونظر وحكمة، ولم يكن بناءً عَلَى معجزة، فلم ير عصى تنقلب حية، ولم ير يداً بيضاء، أو ميتاً ينشر كما كَانَ عيسى عليه السلام ، فكان للقرآن أثره البالغ على أفئدة قساوسة النصارى، قال تعالى ﴿قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً* وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [١٠٧-١٠٩:سورة الإسراء]، فهم قوم من أهل الكتاب لما سمعوا القرآن خروا سجداً وقالوا : سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً .

قال القرطبي: هذه مبالغة في صفتهم ومدح لهم وحق لكل من توسم بالعلم وحصل منه شيئاً أن يجري إلى هذه المرتبة فيخشع عند استماع القرآن ويتواضع ويذل .(١)

وقال ابن كثير: وهذه الصفات توجد في اليهود ولكن قليلا كما وجد في عبد الله بن سلام وأمثاله ممن آمن من أحبار اليهود ولم يبلغوا عشرة أنفس.وأما النصارى منهم يهتدون وينقادون للحق .(٢)

فالله قد وعد على ألسنة أنبيائه ورسله أن يبعث في آخر الزمان نبياً عظيم الشأن يظهر دينه على الدين كله ، وتنتشر دعوته في أقطار الأرض ، وعلى رأس

السير، باب: الأسير يستعين به المشركون على قتال المشركين، رقم "١٨٢٠٧" جـ٩/١٤٤، وذكره الهيثمي في مجمعه، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير إسحق وقد صرح بالسماع .ا.هـ ينظر: مجمع الزوائد جـ٦/٢٧.

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن جـ١٠/٣٤١ .

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير جـ١/٤٤٤ .

أمته تقوم الساعة وأهل الكتابين مجمعون على أن الله وعدهم بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ، فالسعداء منهم عرفوا الحق فآمنوا به واتبعوه ، والأشقياء قالوا نحن ننتظره ولم يبعث بعد رسولا ، فالسعداء لما سمعوا القرآن من الرسول صلى الله عليه وسلم عرفوا أنه النبي الموعود به فخروا سجداً لله إيماناً به وبرسوله وتصديقاً بوعده الذي أنجزه، فرأوه عياناً فقالوا : سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً .

فهؤلاء القوم قد أوصل الله تعالى لهم المنفعة بالقرآن فاتعظوا به، فإن القول الذي أمروا بتدبره هو الذي أمروا باستماعه والتدبر بالنظر والاعتبار والاستماع ، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص ٥١:٥٢]

قال ابن عطية: قال الجمهور: معناه واصلنا لهم في القرآن وتابعناه موصولاً بعضه ببعض في المواعظ والزجر والدعاء إلى الإسلام، قال الحسن : وفي ذكر الأمم المهلكة وصلت لهم قصة بقصة حسب مرور الأيام .⁽¹⁾

وقال تعالى في أهل الكتاب ﴿ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣]، ذكر هنا من صفات هذه الطائفة المؤمنة من أهل الكتاب أنها قائمة، أي: مستقيمة على الحق وأنها تتلو آيات الله آناء الليل وتصلي وتؤمن بالله وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

وذكر في موضع آخر أنها تتلو الكتاب حق تلاوته وتؤمن بالله، وهو قوله﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾

---

(١) . ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز جـ٤/٢٩١ .

[البقرة: ١٢١] وذكر في موضع آخر أنهم يؤمنون بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليهم، وأنهم خاشعون لله لا يشترون بآياته ثمنا قليلا، وهو قوله ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾ [آل عمران: ١٩٩].

وذكر في موضع آخر أنهم يفرحون بإنزال القرآن، وغير ذلك من الآيات البينات التي تدل على تأثر أهل الكتاب بالقرآن الكريم، ومن ثم لم يترددوا في النطق بشهادة التوحيد، كما هو حال ابن سلام، ومخيريق، وغيرهما من مسلمة أهل الكتاب .

المبحث الثالث

تأثير سماع القرآن الكريم في المؤمنين

أما تأثيره في المؤمنين فكان كل من يدخل في الإسلام قبل الهجرة يلقن ما نزل من القرآن الكريم ليعبد الله بتلاوته ويعلم الصلاة ، ولم يفرض في مكة من أركان الإسلام غيرها فيرتل ما يحفظه في صلاته اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم إذ فرض الله عليه التهجد بالليل من أول الإسلام، قال تعالى في أول سورة المزمل ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ، قُمِ اللَّيْلَ إِلا قَلِيلاً، نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ ثم قال في آخرها ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾(المزمل: ٢٠) أي في صلاة الليل وغيرها.

وقد قال تعالى في وصفهم ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً﴾ (الفرقان: ٦٤) ، وقال تعالى ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ، تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (السجدة: ١٥– ١٦) .

ومما ورد في وصفهم رضي الله عنهم أن الذين كان يمر ببيوتهم ليلاً يسمع منها مثل دوي النحل من تلاوة القرآن العظيم .

وقد شدّد بعضهم على أنفسهم، فكان يقوم الليل كله حتى شكا منهم نساؤهم، فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك .

فتزكية الصحابة وتربيتهم بهذا القرآن هي التي غيرت كل ما كان بأنفسهم من مفاسد الجاهلية وزكتها تزكية عالية وهى التي أحدثت أعظم تحول روحي

واجتماعي في التاريخ.هذا كله إنما كان بكثرة تلاوة القرآن في الصلاة وغير الصلاة وتدبره، وربما كان أحدهم يقوم الليل بآية واحدة يكررها متدبراً لها، وكانوا يقرءونه مستلقين ومضطجعين كما وصفهم الله ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ﴾ (آل عمران: ١٩١).

وأعظم ذكر الله تلاوة كتابه المشتمل على ذكر أسمائه وصفاته المقدسة وأحكامه وحكمه وسنته في خلقه وأفعاله في تدبير ملكه .

إن من يقرأ القرآن الكريم لا بد وأن تظهر على جوارحه آثاره بالعمل به أو بالأمر بما ورد فيه أو بالنهي عن زواجره أو بالاقتباس منه في كلامه أو بكثرة ترداد آياته والاستشهاد بها، ولا يخفى ما في ذلك من أثر واضح على تأثير كلام الله وفضل المرء على غيره من الناس.

كما يلاحظ أن قراءة القرآن حتى ممن لا يؤمن به من غير المسلمين مثلا تجعل الكلام سليما من الناحية اللغوية والبلاغية وحسن العبارة ودقة التعبير وسلامة اللفظ باللغة العربية.

إن قراءة القرآن في صلاة الليل هي أقوى وسيلة لبقاء التوحيد والإيمان غضا طريا نديا في القلب ، إنه المنطلَق لكل عمل صالح آخر من صيام أو صدقة أو جهاد وبر وصلة ، لما أراد الله سبحانه وتعالى تكليف نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بواجب التبليغ والدعوة وهو حمل ثقيل جدا ؛ وجهه إلى ما يعينه عليه وهو القيام بالقرآن ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً * إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً ﴾ [١-٧ سورة المزمل] .

إن العبد إذا تعلق قلبه بكتاب ربه فتيقن أن نجاحه و نجاته وسعادته وقوته في قراءته وتدبره تكون هذه البداية للانطلاق في مراقي النجاح وسلم الفلاح في الدنيا والآخرة .

إنَّ للقرآنِ سلطاناً على القلوبِ، وهيبة على الأرواحِ، وقوةً مؤثِّرةً فاعلةً في النفوسِ .

إن أثر القرآن لا ينحصر على من يعقله من البشر بل إن الجبال لتخشع من كلام الله تعالى وإن الحيوانات لَتُحِس بأثره ولكن ذلك لا يظهر للناس إلا بكرامة خارقة للعادة يُظهرها الله تعالى لمن يشاء من عباده مثل ما حصل لأسيد ابن حضير رضي الله عنه قال تعالى ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [الحشر: ٢١]. إن الآية تدعو الجميع إلى أن يستقل كل إنسان بالنظر إلى القرآن بعيدا عن إغواء داخلي أو خارجي، وبالنظر المنصف سيخشع العقل ويخشع القلب وتخشع الجوارح ، سيخشع العقل عندما يعرف الإعجاز الذي نزل به القرآن فيؤمن عن صدق بأنه ليس من عند محمد صلى الله عليه وسلم بل من عند الله ، وسيؤمن بالله من خلال ما فيه من آيات وأخبار صادقة وهداية حكيمة ، إن معرفة معاني القرآن؛ طريق للتدبر، والتدبر طريق للفهم والاتعاظ والاعتبار والخشوع؛ لذلك كان السلف رضي الله عنهم يقرأ الواحد منهم آية واحدة، ويقوم يرددها إلى الفجر يبكي، هذا مالك ابن دينار رحمه الله كان يقرأ قول الله عز وجل ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ ثم يقول: أقسم لكم لا يؤمن عبد بهذا القرآن إلا صُدع قلبه (١). فقراءة القرآن لها أثر كبير في طرد الشيطان

---

(١) . ينظر: حلية الأولياء جـ٢/٣٧٨ .

ورقة القلب وبكاء العين ، فعند ابن أبي حاتم في تفسيره ، في سورة الغاشية، أن الرسول صلى الله عليه وسلم مرَّ بامرأة تقرأ في جنح الليل قوله تعالى ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ [الغاشية:١] فوضع صلى الله عليه وسلم رأسه على صائر الباب وهي تردد، ولا تدري أنه صلى الله عليه وسلم يستمع لقراءتها، وتقول ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾[الغاشية:١] وتبكي ، فأخذ صلى الله عليه وسلم يبكي ويقول: نعم أتاني نعم أتاني(١)

روي عن أُسَيْدِ بن حُضَيْرٍ قال : بَيْنَمَا هو يَقْرَأُ من اللَّيْلِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَفَرَسُهُ مربوط عِنْدَهُ إِذْ جَالَتْ الْفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ فَقَرَأَ فَجَالَتْ الْفَرَسُ فَسَكَتَ وَسَكَتَتْ الْفَرَسُ ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتْ الْفَرَسُ ، فَانْصَرَفَ وكان ابْنُهُ يحيى قَرِيبًا منها فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ ، فلما اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إلى السَّمَاءِ فإذا مِثْلُ الظُّلَّةِ فيها أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ فَخَرَجَتْ حتى ما يَرَاهَا.فلما أَصْبَحَ حَدَّثَ النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال: اقْرَأْ يابن حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يابن حُضَيْرٍ ، قال: فَأَشْفَقْتُ يا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَطَأَ يحيى.وكان منها قَرِيبًا.فَرَفَعْتُ رَأْسِي.فَانْصَرَفْتُ إليه.فَرَفَعْتُ رَأْسِي إلى السَّمَاءِ فإذا مِثْلُ الظُّلَّةِ فيها أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ، فَخَرَجَتْ حتى لَا أَرَاهَا. قال وَتَدْرِي ما ذَاكَ ؟ قال لَا ، قال: تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ الناس إِلَيْهَا لَا تَتَوَارَى منهم "(٢)

وقد وعى تاريخ القراءة أخبار جماعات من السلف صعقوا عند القراءة ، فذاك عليُّ بنُ الفُضيل بن عياضٍ يموتُ لمَّا سمع أباه يقرأُ ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ. مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ [الصافات:٨].

---

(١) . ينظر: تفسير ابن أبي حاتم جـ١٠/٣٤٢٠ .

(٢) . أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : فضائل القرآن ، باب : نُزُول السَّكِينَةِ وَالْمَلَائِكَةِ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، رقم "٤٧٣٠" جـ٤/١٩١٦ .

وعن مقاتل بن حيان قال: صليت خلف عمر بن عبد العزيز، فقرأ ﴿وَقِفُوهُم إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤] فجعل يكررها، ولا يستطيع أن يجاوزها .

وعن سليمان بن حرب قال: سمعت حماد بن زيد يقول: كنا جلوساً عند يحيى البكّاء فقرأ عليه القارئ ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ ﴾ [الأنعام: ٢٧]وتلا ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ ﴾ [الأنعام: ٣٠، فصاح صيحة فعادَوه . أي جعلوا يعودونه . منها أربعة أشهر ، وقال أبو سليمان الداراني: كان علي بن الفضيل بن عياض لا يستطيع أن يقرأ القارعة، وقال : وسمعت أبا سليمان يقول: ما رأيت أحداً الخوف أظهر على وجهه والخشوع في بدنه من الحسن بن صالح، قام ليلة إلى الصبح بـ ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [النبأ: ١] فلما بلغ إلى قوله ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُم إِلَّا عَذَاباً﴾ [النبأ: ٣٠]، فغشي عليه حتى طلع الفجر (١) .

وعمرُ رضي الله عنه منْ سماعِه لآيةٍ ، يبقى مريضاً شهراً كاملاً يُعادُ ، كما يُعادُ المريضُ ، وهي قول الله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى ﴾ [الرعد: ٣١]

وأيضاً لما قرأ عمر رضي الله عنه ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ [التكوير: ١] وانتهى إلى قوله تعالى ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠] خرّ مغشياً عليه، ومرَّ يوماً بدار إنسان وهو يصلي ويقرأ سورة ﴿وَالطُّورِ﴾ [الطور: ١] ، فوقف يستمع فلما بلغ قوله تعالى ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ.مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴾

---

(١) . ينظر: المجالسة وجواهر العلم جـ١/٣٨٨

[الطور:٧،٨] نزل عن حماره واستند إلى حائط ومكث زماناً ورجع إلى منزله ، فمرض شهراً يعوده الناس ، ولا يدرون ما مرضه .(١)

وهي صورة تمثل حقيقة، فإن لهذا القرآن لثقلاً وسلطاناً وأثراً مزلزلاً لا يثبت له شيء يتلقاه بحقيقته، ولقد وجد عمر بن الخطاب ﷺ ما وجد ، عندما سمع قارئاً يقرأ ﴿وَالطُّورِ﴾ فارتكن إلى الجدار. ثم عاد إلى بيته يعوده الناس شهراً مما ألم به!

واللحظات التي يكون فيها الكيان الإنساني متفتحاً لتلقي شيء من حقيقة القرآن يهتز فيها اهتزازاً ويرتجف ارتجافاً، ويقع فيه من التغيرات والتحولات ما يمثله في عالم المادة فعل المغنطيس والكهرباء بالأجسام .أو أشدّ .

فكتاب الله عز وجل مطالبه عظيمة، ولا يمكن أن يحب العبد الله عز وجل حتى يحب القرآن، فأثر القرآن وتعاليم الإسلام التي أكسبتهم هذه الفضائل والمكارم وصاغتهم هذه الصياغة الكريمة فيمن عرفوا من الناس فآمنوا بالإسلام دينا وبالقرآن معجزة لرسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

وقد أنست شدة المصيبة عمر رضي الله عنه هذه الآية ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٤]، يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قام يومئذ فقال إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما مات، ولكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران عليه السلام ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات، والله ليرجعن رسول الله

---

(١) . ينظر: إحياء علوم الدين جـ٤/١٨، التخويف من النار لابن رجب ص٣٠ .

صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى عليه السلام، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ، فخرج أبو بكر فقال: على رسلك ياعمر أنصت، فحمد الله تعالى وأثنى عليه.ثم قال : أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله تعالى حي لا يموت، ثم تلا هذه الآية ، فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ ، فأخذها الناس من أبي بكر ، وقال عمر : فوالله إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى وقعت إلى الأرض ما تحملني رجلاي، وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات .(١)

وقال ميمون بن مهران: لما نزلت هذه الآية ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:٤٣] صاح سلمان الفارسي – رضي الله عنه – ، ووضع يده على رأسه ، وخرج هارباً ثلاثة أيام لا يقدرون عليه.(٢)

وروي أن زرارة بن أبي أوفى صلى بالناس الغداة، فلما قرأ ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [المدثر:٨] خرّ مغشياً عليه فحمل ميتاً.(٣)

وعبدُ اللهِ بنُ وهبٍ مرَّ يوم الجمعةِ فسمع غلاماً يقرأُ ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾ [غافر:٤٧]، فأُغمي عليه ، ونُقل إلى بيتهِ ، وبقي ثلاثة أيامٍ مريضاً ، ومات في اليوم الرابعِ .(٤)

---

(١) . أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المغازي، باب: بَاب مَرَضِ النبي ﷺ، وَوَفَاتِهِ، رقم "٤١٨٧" جـ٤/١٦١٨، وينظر: السيرة لابن هشام جـ٦/٧٥، تاريخ الطبري جـ٢/٢٣٢ .

(٢) . ينظر: إحياء علوم الدين جـ٤/١٨٦ .

(٣) . نفس المصدر .

(٤) . ينظر: سير أعلام النبلاء جـ٩/٢٢٧، صفة الصفوة جـ٤/٣١٣ .

وكما يخشع العقل المفكر والقلب المتأثر تخشع الجوارح بالعمل، وخشوعها بالعمل يكون من منطلق الإيمان بالله وبالقرآن المعجز وبما فيه من هداية هي المثالية في كل مجال من مجالات النشاط البشرى، كما يقول سبحانه ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء:٩]، فهو يهدي البشرية لأقوم سبيل في كل شأن من شؤون حياتها .

قال الطبري: يقول تعالى ذكره: إن هذا القرآن الذي أنزلناه على نبينا صلى الله عليه وسلم يرشد ويسدّد من اهتدى به(لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) يقول: للسبيل التي هي أقوم من غيرها من السبل ، وذلك دين الله الذي بعث به أنبياءه، وهو الإسلام، يقول جلّ ثناؤه: فهذا القرآن يهدي عباد الله المهتدين به إلى قصد السبيل التي ضل عنها سائر أهل الملل المكذبين به.⁽¹⁾

كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعمل بالقرآن الكريم ، فقد كان خُلُقُه القرآن ، تلقيا وتعليما وتبليغا وعملا وتطبيقا، وبهدايته المثالية والحرص على تطبيقها تكونت أمة كانت خير أمة أخرجت للناس ، قوة وتماسكا وحضارة ومدنية، ولم يفارق رسول الله الدنيا إلا بعد أن أوصانا بالتمسك به حتى لا نضل، والغاية من تدبر القرآن والخشوع له تقوية إيماننا بالله ، وإسعاد الإنسان في دنياه وأخراه .

تلك مظاهر لفعل القرآن بنفوس من آمنوا به وأصبحوا من تابعيه ومحبيه كما فعل القرآن بعمر وسعد وأسيد، ألم يعودوا من خيرة جنود الإسلام ودعاته من يوم أسلموا.بل من ساعة أسلموا، وهناك مظاهر أربعة لهذا الضرب أيضا:

---

(١) . ينظر: جامع البيان جـ١٥/٤٦ .

المظهر الأول: تنافسهم في حفظه وقراءته في الصلاة وفي غير الصلاة، حتى لقد طاب لهم أن يهجروا لذيد منامهم من أجل تهجدهم به في الأسحار ومناجاتهم العزيز الغفار. وما كان هذا حالا نادرا فيهم. بل ورد أن المار على بيوت الصحابة بالليل كان يسمع لها دويا كدوي النحل بالقرآن. وكان التفاضل بينهم بمقدار ما يحفظ أحدهم من القرآن، وكانت المرأة ترضى. بل تغتبط أن يكون مهرها سورة يعلمها إياها زوجها من القرآن .

المظهر الثاني: عملهم به وتنفيذهم لتعاليمه في كل شأن من شؤونهم تاركين كل ما كانوا عليه مما يخالف تعاليمه ويجافي هداياته، طيبة بذلك نفوسهم. طيّعة أجسامهم. سخية أيديهم وأرواحهم. حتى صهرهم القرآن في بوتقته وأخرجهم للعالم خلقا آخر مستقيم العقيدة. قويم العبادة. طاهر العادة. كريم الخلق. نبيل المطمح .

المظهر الثالث: استبسالهم في نشر القرآن والدفاع عنه وعن هدايته فأخلصوا له وصدقوا ما عاهدوا الله عليه. فمنهم من قضى نحبه وهو مدافع عنه ومنهم من انتظر حتى أتاه اليقين وهو مجاهد في سبيله مضحٍّ بنفسه ونفيسه، ولقد بلغ الأمر إلى حد أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يرد بعض من يتطوع بالجندية من الشباب لحداثة أسنانهم. وكان كثير من ذوي الأعذار يؤلمهم التخلف عن الغزو حتى ليود الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتخلف معهم جبرا لخاطرهم، ويرسل سراياه وبعوثه بعد أن ينظمها ويزودها بما تحتاجه ولا يخرج معهم. روى مالك والشيخان أن رسول الله قال: والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة، ويشق عليهم أن يتخلفوا

عني، والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل (١) .

المظهر الرابع: ذلك النجاح الباهر الذي أحرزه القرآن في هداية العالم فقد وجد قبل النبي أنبياء ومصلحون وعلماء ومشترعون وفلاسفة وأخلاقيون وحكام ومتحكمون.فما تسنى لأحد من هؤلاء.بل ما تسنى لجميعهم أن يحدثوا مثل هذه النهضة الرائعة التي أحدثها محمد في العقائد والأخلاق وفي العبادات والمعاملات وفي السياسة والإدارة وفي كافة نواحي الإصلاح الإنساني.وما كان لمحمد ولا لألف رجل غير محمد أن يأتوا بمثل هذا الدستور الصالح الذي أحيا موات الأمة العربية في أقل من عشرين سنة، ثم نفخ فيهم من روحه.فهبوا بعد وفاته ينقذون العالم.ففتحوا ملك كسر وقيصر.ووضعوا رجلا في الشرق ورجلا في الغرب.وخفقت رايتهم على نصف المعمور في أقل من قرن ونصف قرن من الزمان .

أفسحر هذا أم هو برهان عقلي لمحه المنصفون من الباحثين.فاكتفوا من محمد بهذا النجاح الباهر دليلا على أنه رسول من رب العالمين .

إن فعل القرآن في نفوس العرب كان أشد وأرقى وأبلغ مما فعلت معجزات جميع الأنبياء.وإن شئت مقارنة بسيطة فهذا موسى عليه السلام قد أتى بني إسرائيل بآيات باهرة من عصا يلقيها.فإذا هي ثعبان مبين، ومن يد يخرجها فإذا هي بيضاء للناظرين.ومن انفلاق البحر فإذا هو طريق يابسة يمشون فيها ناجين آمنين، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في مصر وفي طور سينا مدة التيه.فهل تعلم مدى تأثير هذه الهدايات في إيمانهم بالله ووحدانيته وإخلاصهم لدينه ونصرة رسوله، إنهم ما كادوا يخرجون من البحر بهذه المعجزة الإلهية الكبرى

---

(١) . رواه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد ، باب فضل الجهاد .... .

ويرون بأعينهم عبدة الأصنام والأوثان حتى كان منهم ما حكاه الله في القرآن ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ *إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف:١٣٨: ١٤٠]، ثم لما ذهب موسى إلى مناجاة ربه واستخلف عليهم أخاه هارون عليهما السلام نسوا الله تعالى وحنوا إلى ما وقر في نفوسهم من الوثنية المصرية وخرافاتها فعبدوا العجل، كما تحدثت سورة الأعراف بذلك ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٨]، ولما دعاهم موسى إلى قتال الجبارين في الأرض المقدسة التي كتب الله لهم أبوا وخالفوا وفضّلوا القعود والخزي على القتال والنزول إلى ميادين الجهاد ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة:٢٢: ٢٤] فهؤلاء أصحاب موسى عليه السلام ، فانظر إلى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كيف تأثروا بالقرآن، حتى ليحدث التاريخ عنهم أنهم قطعوا شجرة الرضوان وهي تلك الشجرة التاريخية المباركة التي ورد ذكرها في القرآن وما هذا إلا لأن الناس تبركوا بها فخاف عمر إن طال الزمان بالناس أن يعودوا إلى وثنيتهم ويعبدوها فأمر بقطعها ووافقه الصحابة على ذلك .

وكذلك يذكر التاريخ أن محمدا صلى الله عليه وسلم استشار أصحابه حين عزم على قتال المشركين في غزوة بدر فقالوا: والله لو استعرضت بنا هذا البحر . يريدون البحر الأحمر . فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، إنا لا نقول لك ما قال قوم موسى لموسى فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكن نقول اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون(١)، هكذا كانوا يفضلون مصافحة المنايا في ميادين الجهاد ويتهافتون على الغزو طمعا في الاستشهاد وهكذا حصروا على الموت فوهبهم الله الحياة وأتقنوا صناعة الموت فدانت لهم الملوك وعنت الكماة، ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز.(٢)

فإن لكتاب الله الكريم منزلة عظمى عند كل مسلم فهو النور المبين الذي يهتدي به وهو الروح الذي يحيا به وهو الصراط المستقيم، تكفل الله تعالى بحفظه وأخبر أن لو أنزل على الجبال الرواسي لتصدعت قال تعالى ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر:٢١] وعاتب الله المؤمنين إبان نزول الوحي بقوله ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد:١٦] .

وإن رقة القلب ودمعة العين عند قراءة القرآن أو سماعه سمة من سمات السلف رضي الله عليهم ، قال القرطبي رحمه الله : قوله تعالى ﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء:١٠٩] هذه مبالغة في وصفهم ومدح لهم وحق لكل من توسم بالعلم وحصل منه شيئا أن يجري إلى هذه المرتبة فيخشع عند استماع القرآن ويخضع ويذل، قال: وفي الآية دليل على

---

(١) . ينظر: الطبقات الكبرى جـ٢/١٤، السيرة لابن هشام جـ٣/١٦٢ .

(٢) . ينظر: مناهل العرفان جـ٢/٢٩٧ .

جواز البكاء في الصلاة من خوف الله تعالى أو على معصيته في دين الله وأن ذلك لا يقطعها ولا يضرها .(١)

كان عبدالأعلى التيمي يقول :من أوتي من العلم مالا يبكيه لخليق ألا يكون أوتي علما ينفعه؛ لأن الله تعالى نعت العلماء فقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء:١٠٧،١٠٨].(٢)

"وإن ما يحصل للمؤمنين عند الاستماع لآيات الله والذكر المشروع من وجل القلب ودمع العين واقشعرار الجسوم فهذا أفضل الأحوال التي نطق بها الكتاب والسنة، قال تعالى﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر:٢٣] وقال تعالى ﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم:٥٨] يخبر تبارك وتعالى أن وجل الذين أوتوا العلم من قبلنا ومخافتهم كانت عن فهم آياته في كتابه وتدبر قوله وقد ضمن جل وعز لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أن لمن اتبع منهم ما في كتابه من الهدى الإجارة من الضلالة في الدنيا والسعادة في الآخرة والنجاة من الشقاء ، قال القرطبي : في هذه الآية دلالة على أن لآيات الرحمن تأثيراً في القلوب .(٣)

وكان علماء السلف يدركون أثر القرآن.ولذلك يعظون ويذكرون بآياته ، ويبكون ، فيكون لها موقع عظيم في نفوس الخلق .

---

(١) . ينظر: الجامع لأحكام القرآن جـ١٠/٣٤١ .

(٢) . ينظر: الزهد لابن المبارك جـ١/٤١ .

(٣) . ينظر: الجامع لأحكام القرآن جـ١١/١٢٠ .

فعن ابن عباس ﷺ قال: إذا قرأتم سجدة (سبحان) [الإسراء:١٠٨] ، فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا، فان لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه (١) ، وروي عن حَمْزَةَ بن عبد اللَّهِ أَنَّهُ أخبره عن أبيه قال لَمَّا اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَجَعُهُ قِيلَ له في الصَّلاَةِ.فقال مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ.قالت عَائِشَةُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ إذا قَرَأَ غَلَبَهُ الْبُكَاءُ.قال مُرُوهُ فَيُصَلِّي فَعَاوَدَتْهُ.قال مُرُوهُ فَيُصَلِّي.إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ "(٢) ، وصلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصبح ، فقرأ سورة يوسف ، حتى سالت دموعه، على ترقوته (٣) ، وعن أبي رجاء قال: رأيت ابن عباس ، وتحت عينيه مثل الشراك البالى من الدموع (٤) ، وعن أبي صالح قال: قدم ناس من أهل اليمن على أبى بكر الصديق ، فجعلوا يقرأون القرآن ويبكون ، فقال أبو بكر الصديق : هكذا كنا (٥)

والطريقة في تحصيل البكاء يكون بتدبر وعده ووعيده وما يصحب ذلك من ذكر وصف الجنة والنار وغير ذلك مما ينتج عنه دمع العين ووجل القلب .

قال ابن تيمية رحمه الله : وما يحصل عند السماع والذكر المشروع من وجل القلب ودمع العين واقشعرار الجسوم فهذا أفضل الأحوال التي نطق بها الكتاب والسنة.أما الاضطراب الشديد والغشي والموت والصيحات فهذا إن كان صاحبه مغلوبا عليه لم يُلَمْ عليه كما قد يكون في التابعين ومن بعدهم فإنّ

---

(١) . ينظر: الكشاف جـ٣/٢٧ .

(٢) . أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجماعة والإمامة ، باب أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ أَحَقُّ بِالْإِمَامَةِ، رقم "٦٥٠ " جـ١/٢٤١ .

(٣) . ينظر: التبيان في آداب حملة القرآن ص٤٤ .

(٤) . نفس المصدر .

(٥) . نفس المصدر .

منشأه قوة الوارد على القلب مع ضعف القلب، والقوة والتمكن أفضل كما هو حال النبي صل الله عليه وسلم وأصحابه .⁽¹⁾

فالمؤمنون أجمعوا قلوبهم، وألقوا أسماعهم للقرآن الكريم، فانتفعوا به، وتأثرت به قلوبهم، قال ابن القيم⁽²⁾: إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وأَلْقِ سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه وإليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ﷺ، قال تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق:٣٧]، وذلك أن تمام التأثير لما كان موقوفاً على مؤثر مقتض، ومحل قابل، وشرط لحصول الأثر، وانتفاء المانع الذي يمنع منه، تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظ وأبينه وأدله على المراد .

فقوله تعالى « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى » إشارة إلى ما تقدم من أول السورة إلى هاهنا، وهذا هو المؤثر، وقوله تعالى « لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ » فهذا هو المحل القابل، والمراد به القلب الحي الذي يعقل عن الله، كما قال تعالى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ * لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [يس:٦٩، ٧٠]أي حي القلب، وقوله« أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ » أي وجَّه سمعه وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له، وهذا شرط التأثر بالكلام، وقوله تعالى «وَهُوَ شَهِيدٌ » أي: شاهد القلب حاضر غير غائب .

قال ابن قتيبة: استمع كتاب الله، وهو شاهد القلب والفهم ، ليس بغافل ولا ساه "⁽³⁾ ، وهو إشارة إلى المانع من حصول التأثير، وهو سهو القلب

---

(١) . ينظر: فتاوى ابن تيمية جـ٢٢/٥٢٢ .

(٢) . ينظر: الفوائد ص٣ ٨.

(٣) . ينظر: تفسير غريب القرآن ص ٤١٩ .

وغيبته عن تعقل ما يقال له، والنظر فيه وتأمله، فإذا حصل المؤثر وهو القرآن، والمحل القابل وهو القلب الحي، ووجد الشرط وهو الإصغاء، وانتفى المانع وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب، وانصرافه عنه إلى شيء آخر، حصل الأثر وهو الانتفاع والتذكر .

فإن قيل : إذا كان التأثير إنما يتم بمجموع هذه، فما وجه دخول أداة «أو» في قوله تعالى : « أو ألقى السمع» والموضع موضع واو الجمع « يقصد واو العطف التي تجمع بين شيئين فحينما تقول : جاء محمد وعلي، فقد اجتمع مجيء كل منهما» لا موضع « أو » التي هي لأحد الشيئين .

قيل : هذا سؤال جيد، والجواب عنه أن يقال : خرج الكلام بـ « أو » باعتبار حال المخاطب المدعو، فإن من الناس من يكون حي القلب واعيه، تامّ الفطرة، فإذا فكّر بقلبه وجال بفكره، دله قلبه وعقله على صحة القرآن وأنه الحق، وشهد قلبه بما أخبر به القرآن، فكان ورود القرآن على قلبه نوراً على نور الفطرة، وهذا وصف الذين قيل فيهم : ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ ﴾ [سبأ:٦]، وقال في حقهم ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ [النور:٣٥]، فهذا نور الفطرة على نور الوحي، وهذا حال صاحب القلب الحي الواعي، فصاحب القلب يجمع بين قلبه وبين معاني القرآن فيجدها كأنها قد كتبت فيه، فهو يقرأها عن ظَهْر قَلْب .

ومن الناس من لا يكون تامَّ الاستعداد، واعي القلب، كامل الحياة، فيحتاج إلى شاهد يميز له بين الحق والباطل، ولم تبلغ حياة قلبه ونوره وذكاء فطرته

مبلغ صاحب القلب الحي الواعي، فطريق حصول هدايته أن يفرغ سمعه للكلام وقلبه لتأمله والتفكر فيه وتعقل معاينه، فيعلم حينئذ أنه الحق، فالأول حال من رأى بعينه ما دعي عليه وأخبر به، والثاني حال من علم صدق المخبر وتيقنه وقال : « يكفيني خبره » فهو في مقام الإيمان ، والأول في مقام الإحسان ، هذا وقد وصل إلى علم اليقين ، وترقى قلبه منه إلى منزلة عين اليقين ، وذاك معه التصديق الجازم الذي خرج به من الكفر ودخل به في الإسلام ، فعين اليقين نوعان : نوع في الدنيا ونوع في الآخرة ، فالحاصل في الدنيا نسبته إلى القلب كنسبة الشاهد إلى العين ، وما أخبرت به الرسل من الغيب يعاين في الآخرة بالأبصار ، وفى الدنيا بالبصائر ، « البصائر: من البصيرة وهي التعقل والفطنة والانتباه . » فهو عين يقين في المرتبتين "(١) . .

ويؤكد جورجي زيدان في كتابه (آداب اللغة العربية) تأثير القرآن في أخلاق أهله وعقولهم وقرائحهم ومعاملاتهم فالصبغة القرآنية أو الإسلامية – كما يقول – تظهر في مؤلفات المسلمين ، ولو كانت في موضوعات علمية . كالفلسفة والفلك والحساب ، فضلا عن العلوم أو الآداب الشرعية .

وبعد أن يشير جورجي زيدان إلى تأثير القرآن في حياة المسلمين المعاشية والاجتماعية يقول : ". . وهذا ما لا نراه في الأناجيل – مثلا – فإنها كتب تعليمية لمصلحة الآخرة فقط.ولا نجد فيها شرعا، ولا حكومة ولا أحوالا شخصية . . أو نحو ذلك " . ثم يضيف : " وبالجملة فإن للقرآن تأثيرا في آداب اللغة العربية ، ليس لكتاب ديني مثله في اللغات الأخرى "(٢) .

---

(١) . ينظر: الفوائد ص ٣ .

(٢) . ينظر: آداب اللغة العربية جـ١/٩٥ .

وجورجي زيدان هذا – كما نعلم – كاتب مسيحي معروف ، فاعترافه بتأثير القرآن على المسلمين خلقا وأدبا ولغة وثقافة ، وخلو الكتب الأخرى ، ومنها الأناجيل ، من هذا التأثير – اعترافه هذا له قيمته الكبيرة ، ودلالته الخاصة .

إن فهم القرآن وتدبره مواهب من الكريم الوهاب يعطيها لمن صدق في طلبها وسلك الأسباب الموصلة إليها بجد واجتهاد، أما المتكئ على أريكته المشتغل بشهوات الدنيا ويريد فهم القرآن فهيهات هيهات ولو تمنى على الله الأماني.

والمقصود الأعظم من إنزال القرآن والأمر بقراءته تدبر آياته، قال الله ﷻ ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [ص:٢٩] ، ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢] ، ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون:٦٨]، ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق:٣٧]

قال ابن مسعود رضي الله عنه : " إذا أردتم العلم فانثروا هذا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين " (١)

وقال الحسن بن علي رضي الله عنه : إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل ويتفقدونها في النهار " (٢) ، وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه : " لقد عشنا دهرا طويلا وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، فتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فنتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي أن يوقف عنده منها ، ثم لقد رأيت

---

(١) . ينظر: الزهد لابن المبارك، رقم "٨١٤" ج١/٢٨٠ .

(٢) . ينظر: التبيان في آداب حملة القرآن ص٢٩ .

رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره وما ينبغي أن يقف عنده منه ينثره نثر الدقل "(١) ، وقال الحسن : قراء القرآن ثلاثة أصناف: صنف اتخذوه بضاعة يأكلون به ، وصنف أقاموا حروفه ، وضيعوا حدوده واستطالوا به على أهل بلادهم واستدروا به الولاة كثر هذا الضرب من حملة القرآن لا كثرهم الله ، وصنف عمدوا إلى دواء القرآن فوضعوه على داء قلوبهم فركدوا به في محاريبهم وحنوا به في برانسهم واستشعروا الخوف فارتدوا الحزن.فأولئك الذين يسقي الله بهم الغيث وينصر بهم على الأعداء.والله لَهؤلاء الضرب في حملة القرآن أعز من الكبريت الأحمر "(٢)

هذا هو أثر القرآن على المدعوين تنطق به آياته المباركة، وينطق به كذلك واقع الناس في كل وقت، ومازلنا نشاهد هذا الأثر في نفوس سامعيه: خشوعا وخضوعا للحق إذا صفت الفطرة واستقامت النفوس، وخوفا من سطوة هذا الأثر إذا أظلمت القلوب وأصرت على الكفر، فتتخذ حينئذ من أجل ذلك وسائل تحول بينها وبين هذا التأثير، قال الله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ (فصلت:٢٦).

إن الدعوة بالقرآن ، وإلى ما فيه من الهداية سبيل محمد صلى الله عليه وسلم ، فكان صلى الله عليه وسلم يدعو بالقرآن وينذر به ، وكان هديه وقوله وبيانه للناس وحياً يوحى، فهو المبلغ عن الله تعالى .

---

(١) . أخرجه البيهقي في سننه الكبرى، رقم "٥٠٧٣" ج٣/١٢٠ .

(٢) . ينظر: المناظرة في القرآن ٣٩ .

الخاتمة

أولا : أهم النتائج :

١ . أن تأثير القرآن الكريم في قلوب المدعوين له أشكال متعددة ، فمنه ما هو راجع إلى لغته وبلاغته ، ومنه ما هو راجع إلى عظمته وقداسته ، ومنه ما هو راجع إلى فوائده وبدائعه التي يحتويها ، ومنه ما هو راجع إلى ذاتيّته ، فإنه كلام رب العالمين سبحانه .

٢ . أن فوائد القرآن الكريم التي تعود على المدعوين كثيرة ، لكن بعضهم يأباها، إذ هو لا يدرك قيمته لمرض فيه ، كالمريض لا يشعر بحلاوة الشيء بسبب مرضه .

٣ . أن كل إنسان يجد دواء أمراضه وحل مشكلاته في القرآن الكريم حي يسمعه أو يتلوه ، فيقف على الآية أو الآيات يتدبرها جيدا ، وكأنها نزلت تعنيه هو دون غيره .

٤ . أن خطاب القرآن الكريم للمدعوين بتأثيره هذا يركز على أصناف ثلاثة منهم، وهم المشركون وأهل الكتاب والمؤمنون ، وتأثير القرآن في المدعوين من المشركين وأهل الكتاب يتجلى من خلال الجدل والحوار العقليين ، بينما تأثيره في المدعوين من المؤمنين يتجلى في استثارة الإيمان الكامن في قلوبهم وتقوية معاني الطاعة .

ثانيا : التوصيات :

١ . محاولة إسماع المشركين وأهل الكتاب القرآن الكريم الذي هو كلام الله بأي وسيلة ممكنة ، لاسيما في وسائل الإعلام المختلفة والأماكن العامة ليقين أثره في نفوس سامعيه .

٢ . حاجة الدعاة خاصة إلى حفظ كتاب الله تعالى ، وكثرة تلاوته ، حتى يقوى يقينهم ، وتكون حجتهم على ألسنتهم من كلام ربهم الذي له هذا التأثير العجيب على الناس أجمعين .

٣ . حاجة المؤمنين عامة إلى كثرة سماع القرآن وتلاوته وتدبره ، لما له من عظيم الأثر عليهم في زيادة إيمانهم وقوة يقينهم .

والله تعالى الهادي إلى سواء السبيل .

فهرس المراجع

١. القرآن الكريم .

٢. إحياء علوم الدين : محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار النشر: دار االمعرفة – بيروت.

٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : أبو السعود محمد ابن محمد العمادي ، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيرو

٤. البداية والنهاية : إسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء (ت ٧٧٤ هـ) مكتبة المعارف ، بيروت .بدون

٥. البرهان في علوم القرآن: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) دار المعرفة ، بيروت ١٣٩١هـ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم .

٦. تاريخ الأمم والملوك : محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ .

٧. تاريخ ابن الوردي ، تأليف: زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي ، نشر: دار الكتب العلمية ، لبنان / بيروت ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م، الطبعة: الأولى .

٨. تاريخ آداب اللغة: جورجي زيدان ، دار الهلال، القاهرة ١٩٥٧م .

٩. التبيان في آداب حملة القرآن، تأليف: أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي، دار النشر: الوكالة العامة للتوزيع – دمشق – ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، الطبعة: الأولى .

١٠. التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، تأليف: أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار النشر: مكتبة دار البيان – دمشق – ١٣٩٩، الطبعة: الأولى .

١١. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب،: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى .

١٢. تفسير القرآن لابن أبي حاتم،: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، دار النشر: المكتبة العصرية – صيدا، تحقيق: أسعد محمد الطيب

١٣. جامع البيان عن تأويل آي القرآن : محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠ هـ) ، دار الفكر، بيروت ١٤٠٥ هـ.

١٤. الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٥٧٦ هـ) ، نشر : دار الشعب – القاهرة .

١٥. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تأليف: أحمد عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) ، نشر : مطبعة المدني – مصر، تحقيق : علي سيد صبح المدني .

١٦. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، : أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) ، نشر : دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٥، الطبعة: الرابعة .

١٧. حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة، تأليف: عبد الله بن أحمد ابن محمد المقدسي أبي محمد، دار النشر: مكتبة الرشد – الرياض – ١٤٠٩، الطبعة الأولى، تحقيق : عبد الله يوسف الجديع .

١٨. الخصائص الكبرى: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

١٩. الدر المنثور : عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (ت٩١١ هـ) دار الفكر، بيروت ١٩٩٣.

٢٠. دلائل النبوة :لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) دار التراث ، بيروت ، الطبعة الثانية ٢٠٠٥م.

٢١. الزهد : عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي أبو عبد الله ، نشر : دار الكتب العلمية ، بيروت، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي .

٢٢. سنن الترمذي : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (ت٢٧٩ هـ) دار إحياء التراث العربي بيروت ، تحقيق أحمد شاكر ، وآخرين .

٢٣. سنن الدارمي : عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي (ت٢٥٥ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، تحقيق فؤاد أحمد زولا ، وخالد السبع العلمي .

٢٤. سيرة ابن إسحاق : محمد بن إسحاق بن يسار (ت ١٥١ هـ) معهد الدراسات والأبحاث للتعريب ، تحقيق محمد حميد الله .

٢٥. السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون : علي بن برهان الدين الحلبي ، نشر دار المعرفة – بيروت – ١٤٠٠ هـ .

٢٦. السيرة النبوية لابن هشام : عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت٢١٣ هـ) دار الجيل، بيروت ط الأولى ١٤١١ هـ ، تحقيق طه عبد الرؤف .

٢٧. السيرة النبوية الصحيحة : أكرم ضياء العمري ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، الطبعة السادسة ١٤١٥هـ .

٢٨. سير أعلام النبلاء : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨ هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، ومحمد نعيم العرقسوسي .

٢٩. الشفا بتعريف حقوق المصطفى: للقاضي عياض، دار التراث، القاهرة .

٣٠. صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري (ت ٢٥٦)، دار ابن كثير– بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ ،١٩٨٧م تحقيق مصطفى ديب النجا .

٣١. صفة الصفوة : عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ، نشر دار المعرفة ، بيروت ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م ، الطبعة الثانية، تحقيق: محمود فاخوري – د.محمد رواس قلعه جي .

٣٢. الطبقات الكبرى، تأليف: محمد بن سعد بن منيع أبي عبدالله البصري الزهري، دار النشر: دار صادر – بيروت .

٣٣. عمدة القارئ : بدر الدين محمد بن أحمد العيني (ت ٨٨٥ هـ) ، دار إحياء التراث ، بيروت .

٣٤. الفتاوى الكبرى لابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، (ت٧٢٨ هـ) ، مكتبة ابن تيمية ، تحقيق عبد الرحمن محمد النجدي .

٣٥. فتح الباري : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، تحقيق محب الدين الخطيب.

٣٦. الفوائد ، تأليف: أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، نشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٣٩٣ – ١٩٧٣، الطبعة : الثانية .

٣٧. فيض القدير شرح الجامع الصغير، تأليف: عبد الرؤوف المناوي، دار النشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر – ١٣٥٦هـ، الطبعة: الأولى .

٣٨. الكامل في التاريخ : أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ، الطبعة: ط٢، تحقيق: عبد الله القاضي .

٣٩. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، نشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت، تحقيق : عبد الرزاق المهدي .

٤٠. المجالسة وجواهر العلم، تأليف: أبي بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي، نشر دار ابن حزم – لبنان/ بيروت – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، الطبعة الأولى .

٤١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، نشر دار الكتب العلمية ، لبنان ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م، الطبعة الاولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد .

٤٢. مسند أبي يعلى: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي ، نشر دار المأمون للتراث ، دمشق ، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م ، الطبعة الأولى ، تحقيق: حسين سليم أسد.

٤٣. مسند البزار : أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار ، نشر مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم ، بيروت . المدينة ، ١٤٠٩ هـ ، الطبعة الأولى ، تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله

٤٤. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة،: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت

٤٥. المنتخب من مسند عبد بن حميد : عبد بن حميد بن نصر أبو محمد الكسي ، نشر مكتبة السنة ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ . ١٩٨٨ م ، الطبعة الأولى ، تحقيق : صبحي البدري السامرائي ، محمود محمد خليل الصعيدي .

٤٦. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : علي بن أبي بكر الهيثمي ، نشر دار الريان للتراث . دار الكتاب العربي ، القاهرة . بيروت ، ١٤٠٧ هـ .

٤٧. نظرات في القرآن : الشيخ محمد الغزالي ، دار الكتب الحديثة .

فهرس الموضوعات

المقدمة ٢٣٣
المبحث الأول : تأثير سماع القرآن الكريم في المشركين ٢٣٦
المبحث الثاني : تأثير سماع القرآن الكريم في أهل الكتاب ٢٥٩
المبحث الثالث :تأثير سماع القرآن الكريم في المؤمنين ٢٦٧
الخاتمة ٢٨٦
التوصيات ٢٨٧
فهرس المراجع ٢٨٨
فهرس الموضوعات ٢٩٣